

الباب الرابع

حركة التأليف المعجمي في القرنين الثامن والتاسع الهجريين^(١)

(١) قُدم هذا البحث إلى المؤتمر الدولي الذي عُقد بكلية دار العلوم فرع الفيوم - جامعة القاهرة في الفترة من ١٣ - ١٤ مارس ٢٠٠٤، وكان المؤتمر بعنوان: «الفكر الإسلامي في القرنين الثامن والتاسع الهجريين بين التجديد والتقليد. نظرة توظيفية للتراث الإسلامي في العصر الحاضر».

oboiikandi.com

تمهيد

على الرغم من قَدَم الإسهامات المعجمية وكثرة التأليف في المعاجم العربية، وتنوع الاتجاهات المعجمية، فإن العرب لم يكونوا أول مبتكر في فن التأليف

المعجمي، فقد «بدأت صناعة المعاجم منذ عهد سحيق على يد الهنود، واليونانيين، والمصريين القدماء، والصينيين، ثم نمت في العصر الروسيط على أيدي العرب، ومنهم استفاد العبرانيون وغيرهم»^(١).

ونستطيع أن نقول: إن التفكير المعجمي، والرغبة في عمل قوائم لفظية معجمية، وصنع المعجمات المختلفة قد صاحب الارتقاء البشري والإنساني.

وإذا كان معجم (العين) هو أول معجم عربي شامل، فإن معجم (الجيم)، لأبي عمرو الشيباني، يعد أول معجم في العربية، بالمعنى العام^(٢). وقلنا ما قلناه عن (العين)، لأنه يمثل قمة مدرسة نظام المخارج التقليدية، وكان يدل على دقة المنهج، وشمولية الإحصاء، وحسن الترتيب، وبراعة التنظيم. أما (الجيم)، فهو وإن كان يتبع النظام الالفبائي، إلا أنه يتسم بالخلط والاضطراب أحياناً، وبالغموض والإبهام في أحيان أخرى. نقول ذلك على الرغم من عناية الشيباني الكبيرة باللهجات المختلفة، والغريب، والحوشي، والنادر من الألفاظ.



(١) صناعة المعجم الحديث، ص ٢٥.

(٢) ولد الشيباني سنة (٩٢ هـ)، بينما كانت ولادة الخليل بن أحمد سنة (١٠٠ هـ)، فإذا عرفنا ذلك، فإننا نرى أن أبا عمرو قارب الأربعين عند نضوج (الخليل) الفكري، وأنه، أي الخليل، ألف معجمه بحدود عام (١٦٥ هـ)، أي قبيل وفاته بسنوات ولم يتمه، على أغلب الروايات، يكون أبو عمرو بذلك قد انتهى من وضع أسس معجمه قبل سنين... فضلاً عن أن الرحلة إلى البادية تتطلب الحوية، والنشاط، والقدرة على الانتقال والترحال، لاستكمال تدوين المادة اللغوية، ولا يمكن أن يكون أبو عمرو وضعه في شيخوته.

المدارس المعجمية. ص ٢٤٨.

لسانك العرب

للإمام العلامة ابن منظور

طبعة مراجعة ومصححة
بمعرفة نخبة من السادة الأساتذة لتخصيص

الجزء الأول

(أ - ب - ت - ث)

باب العزمة

اجتماع ثلاث نونات في مثل قولك للنساء في الأمر أفسعلنان، بكسر النون وزيادة الألف بين النونين، ومنها ألف العبارة، لأنها تُعبر عن المتكلم، مثل قولك: أنا أفعل كذا، وأنا استغفر الله، وتسمى العاملة، ومنها الألف المجهولة مثل ألف فاعلٍ وفاعولٍ وما أشبهها، وهي ألف تدخل في الأفعال والأسماء مما لا أصل لها، إنما تأتي لإشباع الفتحة في الفعل والاسم، وهي إذا لزمها الحركة كقولك: خاتمٍ وخواتمٍ صارت واواً لِمَا لزمها الحركة بسكون الألف بعدها، والألف التي بعدها هي ألف الجمع، وهي مجهولة أيضاً، ومنها ألف العوض وهي المبدلة من التنون المنصوب إذا وقفت عليها، كقولك: رأيت زيداً وفعلت خيراً وما أشبهها، ومنها ألف الصلة وهي ألف تُوصَلُ بها فتحة القافية، فمثل قولك:

* بَأْتِ سَعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا انْقِطَعَا *

وتسمى ألف الفاصلة، فوصل ألف العين بألف بعدها، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَتَطَوَّنُ بِاللَّهِ الطَّوْنَا﴾ الألف التي بعد النون الأخيرة هي صلة لفتحة النون، ولها أخوات في فواصل الآيات كقوله عز وجل: ﴿فَوَابِرُوا﴾ و ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ وأما فتحة ها المؤنث فقولك: ضربتها ومررت بها، والفرق بين ألف الوصل وألف الصلة أن ألف الوصل إنما اجتلبت في أوائل الأسماء والأفعال، وألف الصلة في أواخر الأسماء كما ترى، ومنها ألف التون الخفيفة كقوله عز وجل: ﴿لَسَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ وكقوله عز وجل: ﴿وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الوقوف على «لَسَعْنَا» وعلى «وَلْيَكُونَا» بالألف، وهذه الألف خلفت من النون والنون الخفيفة أصلها الشقيلة إلا أنها خُفِّت، من ذلك قول الأعشى:

* وَلَا تَحْمَدِ الْمُشْرِينَ وَاللَّهَ فَاحْمَدَا *

أراد فاحمدن، بالتون الخفيفة، فوقف على الألف،

وقال آخر:

[آ] الألف: تاليفها من همزة ولام وفاء، وسميت ألفاً لأنها تألف الحروف كلها، وهي أكثر الحروف دخولاً في المنطق، ويقولون: هذه ألف مؤلفة، وقد جاء عن بعضهم في قوله تعالى: ﴿الَّتِي﴾ أن الألف اسم من أسماء الله تعالى وتقدس، والله أعلم بما أراد، والألف اللينة لا صرف لها إنما هي جرسٌ مدَّةٌ بعد فتحة، وروى الأزهري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ومحمد بن يزيد أنهما قالا: أصول الألفات ثلاثة ويتبعها الباقيات: ألف أصلية، وهي الثلاثي من الأسماء، وألف قطعية وهي في الرباعي، وألف وصلية وهي فيما جازر الرباعي، قالا: فالأصلية مثل ألف ألف وألف وما أشبهه، والقطعية مثل ألف أحمد وأحمر وما أشبهه، والوصلية مثل ألف استنباط واستخراج، وهي في الأفعال إذا كانت أصلية مثل ألف أكل، وفي الرباعي إذا كانت قطعية مثل ألف أحسن، وفيما زاد عليه مثل ألف استكبر واستدرج إذا كانت وصلية، قالا: ومعنى ألف الاستفهام ثلاثة: تكون بين الأديبين بقولها بعضهم لبعض استفهاماً، وتكون من الجبار لوليهِ تقريراً ولعدوه توبيخاً، فالتقرير كقوله عز وجل للمسيح: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ قال أحمد بن يحيى: وإنما وقع التقرير لعيسى، عليه السلام، لأن خصومه كانوا حضوراً فأراد الله عز وجل من عيسى أن يكذبهم بما ادعوا عليه، وأما التوبيخ لعدوه فكقوله عز وجل: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ وقوله: ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ﴾ ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ وقال أبو منصور: فهذه أصول الألفات، وللتنوين التسابُّ لألفاتٍ غيرها تعرف بها، فمنها الألف الفاصلة وهي في موضعين: أحدهما: الألف التي تثبتها الكتية بعد واو الجمع ليفصل بها بين واو الجمع وبين ما بعدها مثل كَفَرُوا وشَكَرُوا، وكذلك الألف التي في مثل يَغزوا ويدعوا، وإذا استغنى عنها لاتصال المكنى بالفعل لم تثبت هذه الألف الفاصلة، والأخرى: الألف التي فصلت بين النون التي هي علامة الإناث وبين النون الشقيلة كراة

* لَهَا مَسْتَتَانِ حَظَاتَا كَمَا *

أراد: حَظَاتَا، وَمِنْ وَصْلِهِمُ الضَّمَّةُ بِالْوَاوِ مَا أُنشِدَ،

الفراء:

* لَوْ أَنَّ عَمْرًا هَمَّ أَنْ يَرْقُودَا *

* فَانْتَهَضَ فَشَدَّ الْمِيزَرَ الْمَسْعُودَا *

أراد: أَنْ يَرْقُدَ، فَوْصَلُ ضَمَّةِ التَّافِ بِالْوَاوِ، وَأُنشِدَ

أيضاً:

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَا فِي تَلَفُّتِنَا،

يَوْمَ الْفِرَاقِ، إِلَى إِخْوَانِنَا صُورًا

وَأَنْتَى حَيْثَمَا بَيْنِي الْهَيْرَى بَمِرَى

مِنْ حَيْثَمَا سَلَكُوا، أَدْنُو فَانظُرُوا

أراد: فَانظُرُوا، وَأُنشِدَ فِي وَصْلِ الْكِسْرَةِ بِالْيَاءِ:

* لَا عَسَيْدَ لِي بِنِضَالِ *

* أَصْبَحْتُ كَالشَّنِّ الْبَسَالِيِّ *

أراد: بِنِضَالِ، وَقَالَ:

* عَلَى عَجَلٍ مَنَى أَطَاطِي شِمَالِي *

أراد: شِمَالِي، فَوْصَلُ الْكِسْرَةِ بِالْيَاءِ، وَقَالَ عَنَتَرُ:

* بِنَاعٍ مِنْ ذَفْرَى عَضُوبِ جَسْرَةٍ *

أراد: بِنَاعٍ، قَالَ: وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ اللُّغَةِ، وَقَالَ:

بَعْضُهُمْ: بِنَاعٌ يَفْعَلُ مِنْ بَاعَ يَبُوعُ، وَالْأَوَّلُ يَفْعَلُ مِنْ نَبَعَ

يَبِيعُ، وَمِنْهَا الْأَلْفُ الْمُحَوَّلَةُ، وَهِيَ كُلُّ أَلْفٍ أَصْلُهَا يَاءٌ

وَالْوَاوِ الْمُتَحَرِّكَتَانِ كَقَوْلِكَ قَالَ زِبَاعٌ وَقَصَى وَغَرَّأَ وَمَا

أَشْبَهَهَا، وَمِنْهَا أَلْفُ التَّثْنِيَةِ كَقَوْلِكَ الزَّيْدَانِ وَالْعَمْرَانِ، وَقَالَ

أَبُو زَيْدٍ: سَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ: أَيَا أَبَاهُ أَقْبَلُ، وَرَنَهُ عَيْسَا عَيْسَاهُ،

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْإِنْبَارِيِّ: أَلْفُ الْقَطْعِ فِي أَوَائِلِ الْأَسْمَاءِ

عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ تَكُونَ فِي أَوَائِلِ الْأَسْمَاءِ

الْمُنْفَرَدَةِ، وَالرَّجْعِ الْآخَرَ: أَنْ تَكُونَ فِي أَوَائِلِ الْجُمُوعِ،

فَالثَّانِي فِي أَوَائِلِ الْأَسْمَاءِ تَعْرِفُهَا بِشَبَاهَتِهَا فِي التَّنْصِغِ، بِأَنْ

تَمْتَحِنَ الْأَلْفُ فَلَا تَجِدُهَا فَاءَ وَلَا عَيْنًا وَلَا لَامًا، وَكَذَلِكَ

﴿ فَخَيُّوْا بِأَحْسَنِ مِنْهَا ﴾ وَالنَّسْرُقُ بَيْنَ أَلْفِ الْقَطْعِ وَالْفِ

الْوَصْلِ أَنْ أَلْفَ الْوَصْلِ فَاءَ مِنَ الْفِعْلِ، وَأَلْفُ الْقَطْعِ لَيْسَتْ

فاءَ وَلَا عَيْنًا وَلَا لَامًا، وَأَمَّا أَلْفُ الْقَطْعِ فِي الْجُمُوعِ فَمِثْلُ

أَلْفِ الْوَاوِ وَأَلْفِ الْوَاوِ، وَكَذَلِكَ أَلْفُ السُّجْمِ فِي السُّجْمَةِ، وَأَمَّا

أَلْفَاتُ الْوَصْلِ فِي أَوَائِلِ الْأَسْمَاءِ فَهِيَ تِسْعَةٌ: أَلْفُ ابْنِ وَابْنَةِ

(١) قوله: «إخواننا» جاء في صور: أحببنا، وكذا هو في المحكم.

وَقُسْمِيرٌ بَدَأَ ابْنَ خَمْسِي وَعِشْرِي

نَ، فَقَالَتْ لَهُ الْفَسَّاتَانِ: قُومَا

أراد: قُومَنَّ فَوْقَ بِالْأَلْفِ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ:

* بِحَبِّهِ الْجَاهِلُ مَا لَمْ يَعْلَمَا *

* شَيْخًا، عَلَى كُرْبِيَّةٍ، مُعَمَّمَا *

نَصَبَ دَعِيْلَمَةَ لِأَنَّهُ أَرَادَ مَا لَمْ يَعْلَمَنَّ بِالنُّونِ الْخَفِيْفَةِ،

فَوْقَ بِالْأَلْفِ وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو الضَّبِّيُّ فِي قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ:

* فَمَا تَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ *

قَالَ: أَرَادَ تَفَنَّنَ، فَابْدَلُ الْأَلْفَ مِنَ النُّونِ الْخَفِيْفَةِ كَقَوْلِهِ

قُومَا أَرَادَ قُومَنَّ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ الْقِيَامَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ أَكْثَرَ الرِّوَايَةِ أَنَّ الْخَطَّابَ لِمَالِكِ خَازِنَ

جَهَنَّمَ وَجَدَهُ قَبِيْهًا عَلَى مَا وَصَفَنَاهُ، وَقِيلَ: هُوَ خَطَّابُ

لِمَالِكِ وَمَلَّكَ مَعَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَمِنْهَا أَلْفُ الْجُمُوعِ مِثْلُ

مَسَاجِدَ وَجِيَالٍ وَفُرْسَانٍ وَقَوَاعِلَ، وَمِنْهَا التَّنْضِيْلُ وَالتَّنْصِيْفُ

كَقَوْلِهِ: فَلَانِ أَكْرِمُ مِنْكَ وَالْأُمُّ مِنْكَ، وَفَلَانِ أَجْهَلُ النَّاسِ،

وَمِنْهَا أَلْفُ التَّدَايِ كَقَوْلِكَ: أَرَيْدُ، تَرِيدُ يَا زَيْدُ، وَمِنْهَا أَلْفُ

التَّدْبِيَةِ كَقَوْلِكَ: وَارْزِدَاهُ! اعْنَى الْأَلْفُ الَّتِي بَعْدَ الدَّالِّ،

وَيَسْأَلُهَا أَلْفُ الْاسْتِنْكَارِ إِذَا قَالَ وَجَلَّ جَاءَ أَبُو عَمْرٍو،

فِيْحَبِّبِ الْمَجْسِيْبِ أَبُو عَمْرٍو، زَيْدَتِ الْهَاءُ عَلَى الْمَدَّةِ فِي

الْاسْتِنْكَارِ، كَمَا زَيْدَتِ فِي وَأَفْلَانَهُ فِي التَّدْبِيَةِ، وَمِنْهَا أَلْفُ

التَّسْنِيْتِ نَحْوَ مَسَلَةٍ حَمْرَاءَ وَبَيْضَاءَ وَتَسَاءَ، وَمِنْهَا أَلْفُ

سَكْرَى وَحَبْلِيَّ، وَمِنْهَا أَلْفُ التَّعَايُنِ وَهُوَ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ

إِنْ عُمَرُ، ثُمَّ يَرْتَجِعُ عَلَيْهِ كَلَامَهُ فَيَقِفُ عَلَى عُمَرَ وَيَقُولُ إِنْ

عُمَرَا، فَيَمْدُهَا مُسْتَمْدَمًا لَمَّا يَفْتَحُ لَهُ مِنَ الْكَلَامِ، فَيَقُولُ:

مَنْطَلِقُ، الْمَعْنَى أَنْ عُمَرَ مَنْطَلِقُ إِذَا لَمْ يَتَعَايَ، وَيَفْعَلُونَ

ذَلِكَ فِي التَّرْخِيْمِ كَمَا يَقُولُ يَا عُمَرَا، وَهُوَ يَرِيدُ يَا عُمَرَ،

فَيَمْدُ فَتَسْجَةُ الْمِيمِ بِالْأَلْفِ لِيَمْتَدَّ الصَّوْتُ، وَمِنْهَا أَلْفَاتُ

الْمَدَائِلِ، كَقَوْلِ الْعَرَبِ لِلْكَلْبِ: الْكَلْبُكَلُ، الْكَلْبُكَلُ، وَيَقُولُونَ

لِللِّخَاتِمِ: خَانَامٌ وَلِلدَانِقِ دَانِاقٌ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: الْعَرَبُ تَصِلُ

الْفَتْحَةَ بِالْأَلْفِ، وَالضَّمَّةَ بِالْوَاوِ، وَالْكَسْرَةَ بِالْيَاءِ، فَمِنْ

وَصَلَّيْهِمُ الْفَتْحَةَ بِالْأَلْفِ قَوْلُ الرَّاجِزِ:

* قُلْتُ وَقَسَدَ حَبْرَتُ عَلَى الْكَلْبُكَلِ *

* يَا نَافِثِي مَا جَلَسْتِ عَنِّ مَجَالِي *

أراد: عَلَى الْكَلْبُكَلِ فَوْصَلُ فَتَسْجَةُ الْكَافِ بِالْأَلْفِ، وَقَالَ

آخَرُ:

أم عسرة؟ فإن اجتمعت هزتان فصلت بينهما ياء، قال ذو الرمة:

أيا ظبية الوعساء بين جلال

وبين النقا، أأنت أم أم سالم؟

قال: وألّف على ضربين، ألّف وصل وألّف قطع، فكل ما ثبت في الوصل فهو ألّف انقطع، وما لم يثبت فهو ألّف الوصل، ولا تكون إلا زائدة، وألّف انقطع قد تكون زائدة مثل ألّف الاستفهام، وقد تكون أصلية مثل أخذ وأمر، والله أعلم.

[أبا] قال الشيخ أبو محمد بن برّي، رحمه الله: الأباة لأجمة القصب، والجمع أباة، قال وربما ذكر هذا الحرف في المعتل من الصحاح وإن الهمزة أصلها ياء، قال: وليس ذلك بمذهب سيبويه بل يحملها على ظاهرها حتى يقوم دليل أنها من الوار أو من الياء نحو: الرداء لانه من الردية، والكساء لانه من الكسوة، والله أعلم.

[أاسب] الأب: الكلا، وعبر بعضهم^(١) عنه بأنه المرعى، وقال الزجاج: الأب جميع الكلا الذي تعتلفه العاشية، وفي التنزيل العزيز: ﴿وفاكهة وأبا﴾ قال أبو حنيفة: سمى الله تعالى المرعى كله أبا، قال الفراء: الأب ما يأكله الأنعام، وقال مجاهد: الفاكهة ما أكله الناس، والأب ما أكلت الأنعام، فالأب من المرعى للدواب كالفاكهة للإنسان، وقال الشاعر:

جئذنا قسيس، ونجئد دارنا

ولسنا الأب به والمكسر

قال نعلب: الأب كل ما أخرجت الأرض من الثبات، وقال عطاء: كل شيء ينبت على وجه الأرض فهو الأب، وفي حديث أنس: أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قرأ قوله، عز وجل: ﴿وفاكهة وأبا﴾ وقال: فما الأب، ثم قال: ما كلّفنا وما أمرنا بهذا.

والأب: المرعى المشبه للرعى والقطع، ومنه حديث قس بن ساعدة: فجعل يرتع أبا وأصيد ضبا. وأب للسير يثب، ويؤب أبا وأبيا وأبابة: تها للذهاب وتجهز.

قال الأعشى:

والنيل والنتين وامرئ وامرأة واسم واست فهذه ثمانية تكسر الألف في الابتداء وتحذف في الوصل، والثاسعة الألف التي تدخل مع اللام لتعريف، وهي مفتوحة في الابتداء ساكنة في الوصل، كقولك الرحمن، الفارعة، الحاقفة، نسقط هذه الألفات في الوصل وتفتح في الابتداء، التهذيب: وتقول للرجل إذا ناديت: أفلان وأفلان أو يا فلان، بالمد، والعرب تزيد آ إذا أرادوا الوقوف على الحرف المفرد، أنشد الكسائي:

* دعَا فُلانَ رَبِّهَ فَاسْمَعَا^(١) *

* بالخير خيرات، وإن شرا فآ *

* ولا أريد الشرا إلا أن نآ *

قال: يريد إلا أن تشاء فجاه بالياء وحدها وزاد عليها آ، وهي في لغة بني سعد، إلا أن تأ بألف لينة ويقولون ألاتا، يقول: ألا تجيء، فيقول الآخر: بلى فسا أي فأذهب بنا، وكذلك قوله: وإن شرا فآ، يريد: إن شرا فشر.

الجوهري: آ حرف هجاء مقصورة موقوفة، فإن جعلتها اسما مددته، وهي تؤنث ما لم تسم حرفا، فإذا صغرت آية قلت أئية، وذلك إذا كانت صغيرة في الخط، وكذلك القول فيما أشبهها من الحروف.

قال ابن برّي: صواب هذا القول إذا صغرت آه فمن آت قلت آية على قول من يقول زويت زائبا ودبئت ذالا، وأما على قول من يقول زويت زائبا فإياه يقول في تصغيرها أوية، وكذلك تقول في الزاي زوية.

قال الجوهري في آخر ترجمة أوأ: آء حرف يمد ويقصر، فإذا مددت تؤنث، وكذلك سائر حروف الهجاء، والألف ينأى بها القريب دون البعيد، تقول: أزيد أقبيل، بألف مقصورة، والألسف من حروف المد واللين، فاللينة تسمى الألف، والمتحركة تسمى الهمزة، وقد يتجاوز فيها فيقال أيضا ألف، وهما جميعا من حروف الزيادة، وقد تكون الألف ضمير الاثنين في الأفعال نحو فعلا وفعلا، وعلامة التنثية في الأسماء، ودليل الرفع، نحو زيدان ورجلان، وحروف الزيادة عشرة يجمعها قولك: «اليوم تنساء» وإذا تحركت فهي همزة، وقد تزداد في الكلام للاستفهام، تقول: أزيد عندك

(١) قوله: «بعضهم» هو ابن دريد كما في المحكم.

(١) قوله: «ودعا فلان إليه» كذا بالأصل، وجاء في معنى: دعا كلانا.

oboiikandi.com

تقديم

يبدو أن القرنين الثامن والتاسع الهجريين كانا قرنين متميزين عن غيرهما من القرون؛ ذلك أن ثمة تطورات سياسية مهمة قد تركت آثارها على مختلف نواحي الحياة. ففي القرن الثامن الهجري تنوعت مصادر المعرفة ومراكزها في الشام، التي أصبحت «مركزاً عظيماً من مراكز الحركة الفكرية، فيها من المدارس العامة ودور القرآن والحديث العدد الكثير، عَمِلَ على تعميمها حكامُها، وبعض المياسير من أهلها»^(١). كذلك شهدت الجزائر في هذا القرن «حركة تأليف واسعة النطاق، شملت مختلف أنواع العلوم المعروفة آنذاك، التي كانت تدرّس في مساجد تلمسان والجزائر وبجاية وتسنطينة وبونة، وغيرها من مدن وحواضر البلاد. ومما يشهد على اتساع هذه الحركة وازدهارها ما نجده في كتب السير والفهارس من أسماء مصنّفات جزائرية كثيرة صنّفت في هذه الحقبة من التاريخ»^(٢).

أما بلاد الأندلس فقد كانت خاضعة للمُوحِّدين، الذين انتهى حكمهم سنة (٦٢٠ هـ) تقريباً، بعد أن ورثوا دولة المرابطين في المغرب والأندلس. كانت دولة الموحدين دولة قوية، ذات إسهامات عديدة في فروع العلم والمعرفة. ثم قامت (مملكة غرناطة) بزعامة ابن الأحمر، وقد استمرت ما يزيد على قرنين ونصف القرن، منذ سنة ٦٣٥ هـ، حتى سقوط غرناطة سنة ٨٩٧ هـ^(٣).

وعلى الرغم من قصر الفترة التاريخية التي استمرت فيها مملكة غرناطة حتى قُضِيَ على المسلمين ببلاد الأندلس في نهاية القرن التاسع الهجري، إلا أن هذا لم

(١) السّلامى: الوفيات: ١٨ / ١.

(٢) ابن قنفذ: الوفيات. ص ٥.

(٣) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة. ص ٥١٥.

يمنع هذه الدولة من محاولة الاحتفاظ بما تبقى للأندلس من أرض، بعد المحن والكوارث والهزائم التي توالى على الدولة الإسلامية. وكانت رعاية هذه المملكة للعلم والعلماء واضحة للعيان، وازدهرت الصناعة مثل صناعة السفن والورق والحلى، واعتنت الدولة بالزراعة، واهتمت بالعمارة والمباني والقصور والقناطر.

وشهد القرنان الثامن والتاسع في الأندلس مولد كثير من العلماء والأدباء والشعراء، وكان عدد من ملوك بني الأحمر هم من العلماء والأدباء، وبعضهم ألف كتباً، ورعوا العلم ورجاله ومعاهده ومواطنه^(١)، فمن الشعراء: ابن زمرّك (٧٣٤ هـ - ٧٩٧ هـ)، وهو واحد من أكابر الشعراء بالأندلس، ولسان الدين بن الخطيب (٧١٣ هـ - ٧٧٦ هـ)، صاحب (الإحاطة في أخبار غرناطة)، وهو شاعر ومؤرخ وأديب، وقد أورد في كتابه هذا سير العظماء والناهبين من أهل مملكة غرناطة، ومن وفد عليها ومن سكنها. وقد عُرف بذي العمرين، لأنه أضاف بسهر الليل عمراً ثانياً إلى عمره^(٢).

ومن أعلام القرن الثامن الهجري في بلاد المغرب: ابن خلدون، (٧٣٢ هـ - ٨٠٨ هـ)، وهو مؤسس علم الاجتماع. وهو صاحب كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر). ومن فقهاء القرن التاسع: أبو العباس أحمد بن يحيى التلمساني (٨٣٤ هـ - ٩١٤ هـ)، وهو أحد فقهاء المغرب، وقد ألف كتاباً بعنوان (أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصرارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر)؛ دعا فيه إلى حث (المُدَجِّين) - وهم المسلمون الذين رضوا بالبقاء تحت السلطة النصرانية في المدن الأندلسية الذاهبة - على الهجرة إلى أراضى المسلمين^(٣).

(١) السابق. ص ٥٦٢.

(٢) انظر: الفطوف الياقنة من ثمار جنة الأندلس الإسلامى الدانية. ص ٢٤٩.

(٣) انظر: التاريخ الأندلسى. ص ٥٣١.

وما دما نتحدث عن القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وما شهده هذان القرنان من أحداث مهمة، فلا بد من الإشارة إلى (العصر المملوكي)، الذي يبدأ بسقوط بغداد على أيدي التتار سنة ٦٥٦هـ، وينتهي سنة ٩٢٣هـ، بسقوط دولة المماليك. وقد ظهرت في هذا العصر العناية بالعلوم الإنسانية، وتبدى ذلك في الاهتمام بالتاريخ، والمعجمات، والموسوعات مثل: (نهاية الأرب في فنون الأدب)، للنويري، (ت ٧٣٣هـ)، و (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)، لابن فضل الله العُمرى، (ت ٧٤٨هـ)، و (صبح الأعشى في صناعة الإنشاء)، للفلقشندي (ت ٨٢١هـ). كما كانت هناك رعاية للعلوم الإسلامية، مثل: الفقه والتصوف. وواكب ذلك وُهنٌ وانحطاط في المجالات العلمية، مثل: الطبيعة والكيمياء. واتسم الأدب في هذا العصر بالضعف وبالميل إلى الأغراض التقليدية، من وصف ومدح.

وقد أدى سقوط بغداد، والقضاء على مظاهر الحضارة بها إلى هجرة كثير من العلماء من بغداد إلى موطن الخلافة (مصر). لقي هؤلاء العلماء الرعاية اللائقة بهم في مصر، وأحسوا بالأمان، وأغدق عليهم السلاطين من الأموال والعطايا الكثير، وشجع الحكامُ العلمَ والعلماء، حتى أصبحت (القاهرة) مركزاً للثقافة والعلوم.

وشهد القرنان الثامن والتاسع بناء العديد من المدارس التي أدت دوراً مهماً في نشر العلم والثقافة، فضلاً عما تمثله من إضافة مهمة في مجال العمارة. ومن هذه المدارس: (المدرسة الناصرية)، التي اكتمل بناؤها سنة ٧٠٣هـ، و (مدرسة السلطان حسن)، التي بدئ في بنائها في منتصف القرن الثامن الهجري، و (المدرسة الظاهرية)، التي اكتمل بناؤها سنة ٧٨٨هـ، و (المدرسة المحمودية)، التي أنشئت سنة ٧٩٧هـ. وفي بداية القرن الثامن الهجري (سنة ٧٠٢هـ) أدى زلزال قسوى إلى انهيار الجامع الأزهر بمصر، فقام أحد الأمراء المماليك ببنائه، وإعادةه إلى هيئته الأولى.

وظهر في تلك الفترة عدد من الشعراء والأدباء، منهم: (ابن نباتة المصري) (ت ٧٦٨هـ). وهناك أيضا (صفى الدين الحلبي) (ت ٧٥٠هـ)، و (ابن حجة الحموي)، (ت ٨٣٧هـ)، و (صلاح الدين الصفدي) (ت ٧٦٤هـ) صاحب (الوافي بالوفيات) و (ابن الوردي) (ت ٧٤٩هـ) صاحب (شرح التحفة الوردية)، وهو أديب وشاعر ونحوي. وكان من علماء الدين: (ابن تيمية) (ت ٧٢٨هـ)، ومن النحاة: (ابن هشام الأنصاري) (ت ٧٦٦هـ)، و(ابن عقيل) (ت ٧٦٩هـ). وممن ألفوا في علم الحيوان: (كمال الدين الدميري) (ت ٨٠٨هـ)، ومن كتّاب الرحلات: (ابن بطوطة) (ت ٧٧٩هـ)، صاحب (تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، ومن المؤرخين: (المقرئزي) (ت ٨٤٥هـ)، صاحب كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك).

ويهدف هذا البحث إلى تتبع حركة التأليف المعجمي، في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، ورصد أنماطها وصورها، بهدف الوقوف على طبيعة اتجاهات هذه الحركة ومحاورها وتصنيفاتها، ويستند هذا البحث في ذلك إلى الوصف والتحليل.

وقد توسع البحث في مفهوم (التأليف المعجمي)، فلم يقصره على المعاجم اللغوية المألوفة، مثل: (لسان العرب)، بل شمل أيضا تلك المصنفات التي اتخذت من الترتيب المعجمي أساسا لعملها، ومنهجها في نظامها.

وقد كَسَرَتْ هذه الدراسة على تمهيد ومقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

ففي التمهيد بيان لأقسام المعاجم العربية، ونظمها المختلفة، وموقع التأليف المعجمي عند العرب، قياسا على الإسهامات الإنسانية المتصلة بالأعمال المعجمية.

وفي المقدمة حديث عن الظروف السياسية والفكرية والثقافية في القرنين الثامن والتاسع، وأثرها في حركة التأليف بصورة عامة، وفي التأليف المعجمي بشكل خاص.

أما المباحث الثلاثة فتجىء على النحو التالي:

المبحث الأول: المعاجم اللغوية.

وتنقسم إلى ما يلي:

(أ) المعاجم اللغوية العامة.

(ب) المختصرات وكتب التصحيح والنقد المعجمي.

(ج) المعاجم اللغوية الخاصة.

(د) معاجم المصطلحات.

المبحث الثاني: المعاجم القرآنية.

وتنقسم قسمين:

أولهما: معاجم غريب القرآن والحديث.

وثانيهما: معاجم المعرب في القرآن.

المبحث الثالث: معاجم التراجم.

وتنقسم إلى ما يلي:

أولاً: معاجم التراجم العامة.

وتشمل ما يلي:

(أ) معاجم مرتبة على الأسماء والألقاب والأنساب.

(ب) معاجم مرتبة على القرون والأقاليم.

ثانياً: معاجم التراجم الخاصة .

وتشمل ما يلي:

(أ) معاجم تراجم الفقهاء والقراء والمفسرين والحفاظ .

(ب) معاجم تراجم النحاة واللغويين .

(ج) معاجم تراجم الفئات الخاصة .

أما الخاتمة ففيها تلخيص لأهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة .



المبحث الأول:

المعاجم اللغوية

تميز القرنان الثامن والتاسع الهجريان بوجود العديد من المعجمات اللغوية العامة وكتب المختصرات والتصحيح والنقد المعجمي، إضافة إلى المعجمات اللغوية الخاصة ومعاجم المصطلحات.

أولاً: المعاجم اللغوية العامة:

ويقصد بها تلك المعاجم التي تعالج اللفظة، فتُعنى بوسطها، وتشرح مدلولها، وتبين أصلها ومشتقاتها، ويطلق عليها: (معاجم الألفاظ). وقد يتبع بعض هذه المعاجم الطريقة الألفبائية القائمة على أساس الترتيب الهجائي حسب أوائل الأصول، مثل: (المصباح المنير)، ويقوم ترتيب الألفاظ في بعضها الآخر حسب أواخر الأصول، مثل: (القاموس المحيط).

ويشهد القرنان الثامن والتاسع ثلاثة معجمات مهمة:

وأول هذه المعجمات:

(لسان العرب)، لابن منظور^(١)، المتوفى (٧١١هـ)، ويكاد يكون هذا المعجم أضخم المعجمات العربية وأشملها. وكان الحافظ إلى وضعه: حب ابن منظور للغة العربية وشغفه بها، فدفعه هذا إلى استدراك ما فات الأقدمين؛ إذ إنه اطلع على كتبهم ومؤلفاتهم اللغوية، ووجد أن العلاء - كانوا - يقولون شيئاً: بين رجلين: أما من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه، وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه،

(١) كان محدثاً فقيهاً، عارفاً باللغة العربية والنحو والتاريخ. خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، وركب

فلم يُفد حُسْنُ الجمع مع إساءة الوضع، ولا نَفَعَتْ إجادَةُ الوضع مع رداءة الجمع^(١).

وقد اعتمد ابن منظور في جمع المادة اللغوية على عدة مصادر، هي:

١- (تهذيب اللغة)، للأزهري، و (الصحاح)، للجوهري، و (المحكم والمحيط الأعظم)، لابن سيده، و (حواشي الصحاح)، لابن بري، و (النهاية في غريب الحديث والأثر)، لابن الأثير (ت ٦٠٦هـ).

وقد جمع صاحب (لسان العرب) ما تفرق في تلك الكتب، وعمل على سدِّ الثُّلْمَةِ، ومعالجة الخلل الواقع في هذه المعاجم، وإكمال ما فات أصحابها. ورتَّب معجمه كما رتب الجوهري (الصحاح)، فصار معجمه موسوعة لغوية شاملة.

ويتسم (لسان العرب) بما يلي:

- ١- تجريد الكلمة من الزوائد، وجعل الحرف الأخير للباب، ونظيره الأول للفصل.
- ٢- إيراد الكثير من لغات القبائل، والنوادر، والأمثال، والتراجم، والأخبار.
- ٣- العناية بضبط الألفاظ ضبطاً صحيحاً، ويكون إما بذكر علامات الضبط صراحة، فيقول مثلاً: بالفتح، أو بالضم... وإما بإيراد الميزان الصرفي للكلمة.
- ٤- إيراد الكثير من الشواهد القرآنية والحديثية.
- ٥- عزو الشواهد الشعرية إلى قائلها، إلا فيما ندر.
- ٦- الالتزام بما أورده السابقون في المصادر التي اعتمد عليها، وعدم مجاوزة النص، والأمانة في النقل.
- ٧- التوسع والإسهاب في إيراد المعاني المختلفة للمادة الواحدة.
- ٨- الاهتمام بالقواعد النحوية والصرفية.

(١) مقدمة لسان العرب، ص ١١.

وثمة ما أخذ لم يستطع ابن منظور أن يتجنبها في معجمه، تتمثل فيما يلي:

١- التكرار، ولعل ذلك مرده إلى النقل عن كتب السابقين، مع ما يكون فيها من تباين واختلاف في بعض الأحيان.

٢- نسبة الشواهد إلى غير أصحابها، أحياناً، ومن ذلك البيت الذي أورده منسوباً لزهير بن أبي سلمى، وهو:

وَوَطِنْتَنَا وَطِنًا عَلَى حَقِّ وَطْءِ الْمُقْسِدِ يَابِسَ الْهَرَمِ^(١)

إذ لم يرد البيت في ديوان (زهير)، والثابت أنه للحارث بن وعلّة.

٣- الخطأ في ضبط بعض الألفاظ، ومنه ما جاء في بيت أبي دواد:

* عَبَقَ الْكِبَاءُ^(٢) *

والصواب: عَبَقَ، بكسر الباء.

٤- عدم الدقة في تحديد الدلالة، أو تفسير كلمة بأخرى نحتاج إلى تفسير، أو تفسير اللفظ بدلالة عامة تصلح له ولغيره من الألفاظ. ويتضح ذلك فيما يلي:

- (الْقَنْفُخُ: ضربٌ من النبت). اللسان: قنفخ.

- (الْقُمْعُوْطَةُ وَالْمَقْعُوْطَةُ، كلتاها: دُوْبِيَّةٌ مَاءٍ). اللسان: قمعط.

- (الْهَبَاءُ: حَيٌّ). اللسان: هبأ.

- (الْهُرْنُوغُ: شِبْهُ الطَّرْتُوْثِ يُؤْكَلُ): اللسان: هرنف.

فنبحث عن (الطرتوث) فيه، فنجد أنه (نبت يؤكل، وفي المحكم: نبت رملي طويل مُسْتَدِقٌ كَالْفُطْرِ، يضرب إلى الحُمرة وَيَبَسَ . . . واحده طرُوثَةٌ). ثم يورد ابن منظور نقلاً عن آخرين: أنه (ضربان: فمنه حُلُوٌّ، وهو الأحمر، ومنه مَرٌّ، وهو

(١) انظر: لسان العرب: مادة: هرم، وتحقيقات وتبهيات في معجم لسان العرب. ص ٢٩٧.

(٢) انظر: لسان العرب: مادة: جمد. و(الكباء): عود البخور، والجمع: كِبَاءٌ.

الأبيض ... الطرائث تتخذ للأدوية، ولا يأكلها إلا الجائع، لمرارتها). اللسان: طرث.

(الطَّرخون: بَقْلٌ طَيِّبٌ يُطْبَخُ باللحم). اللسان: طرخن.

٥- إيراد الكثير من الألفاظ الأعجمية دون تأصيل، ومثال ذلك كلمة (الإصطبل)، إذ يورد اللسان اللفظ موضحاً معناه، مكتفياً بذكر أنه (ليس من كلام العرب). والثابت أن (الإصطبل) كلمة مأخوذة من اللاتينية Stabulum، بمعنى مأوى الخيل والدواب^(١).

٦- عدم الالتزام بطريقة واحدة في ترتيب المادة اللغوية، إذ إنه يبدأ في كثير من الأحيان بالاسم أولاً، وقد يخالف ذلك بالبدء بالفعل في بعض الأحيان، كما في مادة: (أبخ)، إذ بدأت كما يلي: (أبخه: لأمه وعذله).

٧- صعوبة عشور الباحث على مبتغاه بسهولة ويسر، وذلك نتيجة اتساع المادة الواحدة، وتشعب الآراء، وكثرة الاستشهاد، وغزارة النقل عن الآخرين^(٢).

أما المعجم الثاني الذي شهدته فترة الدراسة، فهو:

(المصباح المنير)، للفيومي^(٣) المتوفى (٧٧٠هـ).

وقد اعتمد الفيومي في وضع معجمه على عدة مصادر من أمهات الكتب، مثل (إصلاح المنطق)، لابن السكيت، (ت ٢٤٤هـ)، و (تهذيب اللغة)، للأزهري، و (الصحاح)، للجوهري، و (أساس البلاغة) للزمخشري.

و (المصباح المنير) كان عنوانه الأصلي: (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير)، إذ كان الإمام (أبو حامد الغزالي)، المتوفى سنة (٥٠٥هـ)؛ قد ألّف كتاباً

(١) انظر تفسير الألفاظ الدخيلة. ص ٣، وغرائب اللغة العربية. ص ٢٧٧.

(٢) انظر المعاجم العربية المجنسة. ص ١٥٥.

(٣) نسبة إلى فيوم العراق، لا إلى فيوم مصر.

في فروع الشافعية، سماه (الوجيز)، وقام عبد الكريم الرافعي، المنوفى سنة (٦٢٣هـ) بشرح كتاب الغزالي، وسماه: (فتح العزيز في شرح الوجيز)، ثم جاء الفيومي فدرس كتاب (فتح العزيز)، ووجد أنه بحاجة إلى شرح، فشرحه، ثم اختصره في (المصباح المنير).

قسّم الفيومي معجمه إلى أبواب، وكل باب سماه كتاباً، فبدأ المعجم بكتاب الألف، فكتاب الباء... ورُتّب باعتبار الأصول، بدءاً بالحرف الأول من الكلمة، بعد تجريدتها من الزوائد.

ويتسم هذا المعجم بما يلي:

- ١- الإكثار من الشواهد القرآنية والحديثية.
 - ٢- وفرة الشواهد الشعرية، والاهتمام بنسبتها إلى أصحابها.
 - ٣- العناية بالمصطلحات الفقهية.
 - ٤- كثرة المسائل النحوية والصرفية، والاهتمام بالقضايا اللغوية.
 - ٥- التأكيد على ضبط الكلمة بعبارة صريحة، فيقول مثلاً: (بالفتح). (بالتشديد)...
 - ٦- الحرص على ذكر باب الفعل؛ فيقول مثلاً: (عَزَبَ الشيءُ عَزُوباً من باب قَعَدَ: بَعُدَ. وَعَزَبَ، من بابي قَتَلَ وَضَرَبَ: غَابَ وَخَفِيَ، فهو عازب) (١).
- ويؤخذ على المعجم الاختصار الشديد الذي قد ينجر عنه خلل في فهم الدلالات، مما يؤدي إلى عدم فهم المعنى فهماً كاملاً.

(١) المصباح المنير: عزب.

وثالث هذه المعجمات العامة هو:

(القاموس المحيط)^(١)، للفيروزآبادي، المتوفى (٨١٧هـ).

ويتسم هذا المعجم بغزارة المواد واتساع الاستقصاء، ويجيء في ستين ألف مادة. وقد ضمَّه صاحبه خلاصة ما في (المحكم والمحيط الأعظم)، لابن سيده، و (العُباب الزاخر واللباب الفاخر)، للصاغاني، المتوفى سنة (٦٥٠هـ)، وأضاف إليه زياداتٍ من مصنفات كثيرة، وسماه (القاموس المحيط)؛ لأنه البحر الأعظم.

وقد رتب الفيروزآبادي (قاموسه) كما رتب الجوهري (الصحاح)؛ إذا قسَّمه إلى ثمانية وعشرين باباً، باعتبار الحرف الأخير من الكلمة المجردة، ثم قسَّم كل باب إلى فصول تبعاً للحرف الأول، وكان (باب الهمزة) أول الأبواب، و (باب الألف اللينة) آخرها.

ويتسم (القاموس المحيط) بما يلي:

- ١- تمييز المواد التي زادها (الفيروزآبادي) على (الجوهري) بالحمرة.
- ٢- العناية بضبط المادة بذكر العبارة الدالة على الضبط، فيقول مثلاً: (العُسر، بالضم وبضمّتين وبالتحريك: ضد اليسر)^(٢).
- ٣- الإشارة إلى المؤنث بعد المذكر بقوله: وهي بهاء.
- ٤- استخدام حروف معينة للإشارة إلى الألفاظ المكررة، وذلك من باب الاختصار والاختزال، مثل: م: معروف، ع: موضع، ة: قرية، د: بلد، ج: جمع.

(١) ثمة شروح عديدة على (القاموس المحيط)، أهمها: (تاج العروس)، للزبيدي، المتوفى

(١٢٠٥هـ). ومن الكتب التي تبعت مقتطعات (القاموس المحيط)؛ (الجاسوس على القاموس)،

لأحمد فارس الشدياق (ت ١٣٠٤هـ - ١٨٨٧م).

(٢) القاموس المحيط: عسر.

ومما يؤخذ على القاموس المحيط:

- ١- اهتمامه الزائد بأسماء البلاد والبقاع والأماكن والأعلام، الذي قد يطنى - أحيانا - على اهتمامه بالناحية اللغوية.
- ٢- القصور في تعريف الأعلام، على كثرتها؛ إذ قد يكتفى بذكر العَلَم دون ما يتصل به من معلومات، مثل: العصر الذي عاش فيه. ميلاده. وفاته... ومن ذلك قوله: (وقيسُ بن العيزارة: وهى أمه: شاعر)^(١).
- ٣- عدم العناية بذكر الشواهد الشعرية.
- ٤- عدم الالتزام بطريقة واحدة في إيراد المادة اللغوية؛ فقد يبدأ بالاسم أحيانا، كما قد يبدأ بالفعل.

ثانيا: المختصرات وكتب التصحيح والنقد المعجمي:

ثمة معجمات عديدة وشروح كثيرة قامت على معجمات سابقة عليها؛ إذ رأى البعض أن هناك معاجم قديمة نالت شهرة كبيرة وكانت إضافة عظيمة للتراث المعجمي، إلا أنها - في نظر أصحاب الشروح والاختصاصات - كانت زاخرة بالأخطاء، حافلة بالأوهام، مملوءة بالتصحيفات والتحريفات، مكثرة مما يمكن الاستغناء عنه، ويعد (مختار الصحاح)، للرازي^(٢)، واحداً من أهم هذه

(١) السابق: عزز.

(٢) ورد في آخر (مختار الصحاح) أنه تم الفراغ منه سنة (٧٦٠هـ)، واستند إلى هذا د. حسين نصار في كتابه القيم (المعجم العربي: نشأته وتطوره): ٣٩٧/٢، وجاء في (المعاجم العربية المجنسة) للدكتور/ محمد عبد الحفيظ العريان، ص١٣٩، أن (الرازي) توفي في حدود سنة ٧٨٠هـ، أو بعد سنة ٦٩١هـ. وذكر وجدى رزق غالى في (معجم المعجمات العربية) ص٢٦٥، أنه توفي سنة (٦٦٦هـ). أما الزركلى في (الأعلام): ٥٥/٦، فقد أوضح أن الرازي توفي بعد سنة (٦٦٦هـ)، وأورد أن (عبد الله مخلص) له رسالة سماها: (صاحب مختار الصحاح)، حقق فيها القول بأنه توفي سنة (٧٦١هـ)، وأنه كان من رجال القرن الثامن.

المختصرات في الفترة الزمنية التي تعالجها هذه الدراسة، وهو أكثر المختصرات على (الصحاح)، للجوهري، دقة. وقد جعله (الرازي) اختصاراً للصحاح، لأنه - في رأيه - «أحسن أصول اللغة ترتيباً، وأوفرها تهذيباً، وأسهلها تناولاً، وأكثرها تداولاً»^(١). ويبيِّن المؤلف منهجه، حيث يقول: لقد «اقتصرت فيه على ما لا بد لكل عالم فقيه، أو حافظ، أو محدث، أو أديب من معرفته وحفظه: لكثرة استعماله وجريانه على الألسن... واجتنبت فيه عويص اللغة وغيرها طلباً للاختصار وتسهيلاً للحفظ. وضمنت إليه فوائد كثيرة من تهذيب الأزهري وغيره من أصول اللغة الموثوق بها، ومما فتح الله تعالى به عليّ، فكل موضع مكتوب فيه (قلت) فإنه من الفوائد التي زدتها على الأصل»^(٢).

سار (الرازي) على درب (الجوهري) في ترتيب الكلمات باعتبار أواخرها، إلا أن (وزارة المعارف) المصرية إدراكاً منها أن (مختار الصحاح) لا يخلو بهذه الطريقة من الصعوبة في بلوغ المراد منه، فقد استقر رأيها على إعادة طبعه باعتبار الحرف الأول فالثاني، على طريقة ترتيب (المصباح المنير)، للفيومي، «وأن تُرد إلى كل مادة مشتقاتها التي يصعب على الطالب ردها إليها، مع حذف ما لا ينبغي أن يطرق مسامع النشء، بشرط المحافظة على أصل الكتاب»^(٣)، وقام بتصحيحه وضبطه الشيخ حمزة فتح الله.

وقد عُنِيَ الرازي بالأوزان الثلاثية، فأورد «كل ما أهمله الجوهري من أوزان مصادر الأفعال الثلاثية التي ذكر أفعالها، ومن أوزان الأفعال الثلاثية التي ذكر مصادرها»^(٤)، وكان ذلك إما ببيان الحركات، وإما برد الوزن إلى واحد من الموازين التي ذكرها. وما لم يجده في كتب اللغة الموثوق بها فإنه يهمل ضبطه، مقتنياً أثر الجوهري في ذكره مهملًا.

(٢) السابق، ص (هـ).

(١) مقدمة (مختار الصحاح)، ص (هـ).

(٤) السابق، ص (هـ).

(٣) السابق، ص (د).

ويتسم (مختار الصحاح) بالإيجاز والاختصار، وحذف ما لا ينبغي ذكره، مما يسهل على طلاب العلم الوصول إلى مبتغاهم بسهولة ويسر. ويهتم كثيراً بضبط الكلمات، وتجنب غوامض الكلم، تحقيقاً للهدف الذي كان من ورائه، وتثبيتاً للغاية التي كان السعي إليها.

ومن المختصرات وكتب التصحيح المعجمي (الراموز على الصحاح)، لمحمد ابن السيد حسن، المتوفى (٨٦٦هـ)^(١)، الذي تناول معجم (الصحاح)، للجوهري، بالتهذيب والتصحيح والتنظيم والإضافة، كما استدرك عليه بدقة وموضوعية واختصار، مما جعل من كتابه (الراموز) معجماً لغوياً فقهياً، شكلاً ومضموناً.

يستخدم صاحب (الراموز) الرموز والحروف للاختصار، فيشير إلى القرآن بالحرف (ق)، وإلى الحديث بالحرف (ح)، وإلى الأثر بالحرف (ر)، وإلى الجمع بالحرف (ج)... ويختصر أسماء اللغويين، ويحذف الشواهد الشعرية التي أوردها (الجوهري)، ويناقش المسائل والقضايا النحوية واللغوية التي جاءت في ثنايا (الصحاح)، ويدرس مصطلحات العلوم المختلفة: الفقهية، والعروضية، والنحوية. ويهتم صاحب (الراموز) بضبط الكلمة؛ خشية أن يفسدها النساخون، وخوفاً من التصحيف والتحريف. وعلى الرغم من أن منهج (الراموز) كان قائماً على الاختصار، فإنه أكثر من ذكر الشواهد القرآنية والحديثية والشعرية، وأسهب في مناقشة القضايا الفقهية.

ومن كتب النقد المعجمي أيضاً: (نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم)، للصفدي، المتوفى (٧٦٤هـ)، وهو يتعقب في كتابه هذا الجوهري في "الأرهام الصرفية، والاشتقاقية، والتصحيف، وسوء التعبير، والخطأ في التفسير... ونهج الصفدي... على إيراد عبارة الصحاح بنصها، أو يجمع بعض عبارات متفرقة، ثم يرد عليها"^(٢). وللمؤلف ذاته كتاب (حلى النواهد على ما في الصحاح من الشواهد). وقد درس فيه شواهد (الصحاح)، وشرحها، وقام بنسبتها إلى أصحابها.

(١) انظر: الراموز على الصحاح. دراسة معجمية. (٢) المعجم العربي: نشأته وتطوره: ٢ / ٤١٤.

ويضاف إلى هذا ما قام به البعض من اختصار لبعض المعجمات، ومن ذلك: (مختصر صحاح الجوهري)، وصاحبه: أبو عبد الله محمد بن حسن، المعروف بابن الصانع، (ت ٧٢٠هـ). ومن اختصر (القاموس المحيط): إبراهيم بن محمد الحلبي، (ت ٩٠٠هـ)، في كتابه (البرهان).

ثالثاً: المعجمات اللغوية الخاصة:

نعنى بالمعجمات اللغوية الخاصة تلك المعجمات التي ينفرد كل منها بمعالجة أنواع معينة من الألفاظ، أو مجالات محددة منها. فهو ليس معجماً عاماً يبحث في دلالة اللفظ، ولكنه معجم محدد يتناول ألفاظاً يجمع بينها سمات خاصة، أو يدرس ألفاظاً قد لا يكون ثمة رابطة بينها، ولكنها تشترك في أنها جميعها مصطلحات لعلوم مختلفة.

وتنقسم المعجمات اللغوية الخاصة إلى ثلاثة أنواع:

١- المثلاثات: ويقصد بالمثلاثات - في إطار هذا النوع من المعجمات - ما اتحد لفظه ومعناه واختلف شكله، مثل: (السَّم، والسُّم، والسِّم: هو المَهْلِكُ القاتل)، ومثل: (الطَّب، والطُّب، والطَّيْب - مثلثة - علاج الجسم والنفس)، ومثل: (بَغَاث، وبِغَاث، وبُغَاث: لِمَا يُصَاد من الطير ولا يَصِيد.

وثمة نوع آخر من المثلاثات، وهو ما اتحد لفظه، واختلف معناه باختلاف شكله، مثل: (الجَدُّ: القطع والجَدُّ أبو الأب وأبو الأم... والجَدُّ: الحَظُّ والسَّعد... والجَدُّ بالكسر: الانكماش في الأمر. والجَدُّ: نقيض الهَزْل... والجَدُّ بالضم أيضاً: الرجل العظيم... والجَدُّ بالضم أيضاً: البئر تكون بين الكلاهِ^(١).

ويمثل هذه النوعية من المعجمات - في هذه الفترة - كتابان، هما:

(١) المثلث لابن السيد البطليوسي: ٣٩٧ / ١.

(المثلث ذو المعنى الواحد)، ومؤتته هو شمس الدين البعلبي الحنبلي المتوفى في بداية القرن الثامن الهجري (٧٠٩هـ).

أورد البعلبي في هذا الكتاب ما يزيد على ثلثمائة كلمة مما يُنطق بثلاث حركات: (الفتحة والضمة والكسرة)، وكلها بمعنى واحد، أى الألفاظ المثلثة المتفقة المعنى، وقد جمع المؤلف هذه الألفاظ من مثلثات ابن مالك (ت ٦٧٢هـ)، ومن كتب غيره، وزاد عليها ألفاظا عديدة. ويعد هذا الكتاب أول مؤلف في الكلمات المثلثة المتفقة في المعنى. وقد رأى البعلبي أن ما كتبه شيخه ابن مالك في كتاب (الإعلام بتلخيص الكلام) لم يكن شاملا للألفاظ المثلثة المتفقة المعنى في العربية، ولذلك أقدم على جمع ما كتبه ابن مالك، واستدرك عليه أشياء أخرى من كتب غيره^(١).

رتب البعلبي كتابه على حروف المعجم، وبين أن ما كان من كتاب ابن مالك فهو غير معزوم، وما كان من كتاب غيره فهو معزوم إلى قائله. وقسم كتابه إلى أربعة فصول:

الأول: (فيما نُكِّتَ أولُهُ)؛ مثل: (البصرة: الحجارة الرخوة، ومدينة بالعراق)، ومثل: (الدواء: مثلث الدال ممدود: ما يتداوى به عن ابن سيده).

والثاني: (فيما نُكِّتَ عينُهُ من الأسماء)، مثل: (أربعاء: مثلث الباء، عن ابن سيده وغيره)، ومثل: (المأرية: الحاجة).

والثالث: (فيما نُكِّتَ عينُهُ من الأفعال)، مثل (طهر الرجل من الذنوب، والمرأة من الحيض)، ومثل (فسد الشيء فهو فاسد وقصيد).

والرابع: (فيما نُكِّتَ أولُهُ وثالثه): مثل (التنفل: الثعلب. وقيل: جروه، مثلث الأول والثالث، عن ابن سيده)، ومثل: (الطننفة^(٢))، مثلث الطاء والفاء، والأفصح كسر الطاء. وفتح الفاء عن ابن سيده.

(١) السابق، ص (هـ).

(٢) الطننفة: الوسادة التي فوق الرَّحْلِ، (وهو ما يكون على ظهر البعير للركوب). والطننفة: البساط.

٢- ما يجيء بالسين والشين.

ويمثل هذه النوعية من المعجمات كتاب واحد، هو (تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين)، للفيروزآبادي. وكان الدافع إلى تأليف هذا الكتاب أن الفيروزآبادي قرأ على بعض مشيخته حديثاً جاء فيه ذكر (التسميت)^(١)، فنطق الكلمة بالسين والشين، فسأله المستمع عن نظائرها في كلام العرب... فدفعه هذا إلى جمع الألفاظ التي تقال بالسين والشين، وسماه (تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين). وقد عنونه بهذا العنوان لأجل السلطان إسماعيل بن العباس، إذ رأى المؤلف لاسمه الشريف مدخلا في كتابه "هذا من وجهين: أحدهما: اشتمال اللقب الشريف بالسين.

واشتمال الاسم الشريف قبل التعريب بالعبرانية "إشمويل"، فعربته العرب، وقالت: إسماعيل، فساغ من هذا الوجه فيه: السين والشين"^(٢).

رتب الفيروزآبادي كتابه على حروف المعجم، فبدأ بالألف، والباء، إلى الياء، إلا أن هناك حروفاً خلعت عنده من ألفاظ، وهي: (الشاء)، و(الذال)، و(الزاي)، و(الصاد)، و(الضاد)، و(الظاء)، و(اللام).

ومما أورده مما يجيء بالسين والشين: "الرَّعْسُ، والرَّعْشُ: الارتعاش... (و) الإرعاس، والإرعاش، والارتعاس، والارتعاش: بمعنى واحد"^(٣). وكذلك: "الوسواس، والوشواس: همسُ الصائت والكلام، وكلام في اختلاف، وصوت الحلي"^(٤).

(١) التسميت والتسميت: الدعاء للعاطس.

(٢) تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين. ص ٣٨.

(٣) السابق، ص ٦٣.

(٤) السابق، ص ١٣٠.

٣- التصحيح اللغوى:

ونعنى بهذه النوعية من الكتب ما قام به بعض المؤلفين من محاولات لتصويب الأخطاء الشائعة على الألسنة، التى انجرت عن شيوخ اللحن فى كلام العوام، وبيان ما بها من أخطاء والتنبيه على الصواب. ولم يكن الأمر مقصوراً على العوام وأخطائهم، وإنما امتد إلى الخاصة، من مؤلفين وكتّاب وأدباء، شاع الخطأ فى كتاباتهم، ومؤلفاتهم، ولغتهم.

ويمثل هذه النوعية من كتب (التصحيح اللغوى) كتابان:

أولهما: (تصحيح التصحيف وتحريف التحريف)، ومؤلفه هو صلاح الدين خليل ابن أبيك الصفدى، المتوفى (٧٦٤هـ). وبعد هذا الكتاب أكبر مؤلف فى مجال (لحن العامة). وقد اعتمد فيه مؤلفه على عدة مؤلفات فى ميدان لحن العوام والتصحيف والتحريف، منها: (لحن العوام)، للزبيدي (ت ٣٧٩هـ)، و (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف)، لأبى أحمد العسكرى، (ت ٣٨٢هـ)، و (تثقيف اللسان وتلقيح الجنان)، لابن مكى الصقلى، ت (٥٠١هـ) و (درة الفواص فى أوهام الخواص)، للحريرى، (ت ٥١٦هـ)، و (تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة)، للجوالقى، (ت ٥٤٠هـ)، وهو ذيلٌ على سابقه، وغيرها من الكتب.

وقد رتب الصفدى كتابه على حروف المعجم، وجعل لكل كتاب من الكتب التى اعتمد عليها رمزاً، فكان يشير إلى الرمز حين النقل من الكتاب، ويورد (قلتُ)، للإشارة إلى أن هذا كلامه. وكانت البداية عنده (الهمزة والألف بعدها)، و(الهمزة والباء الموحدة)، و(الهمزة والتاء - المثناة من فوق إلى (الهمزة والياء). ثم يأتى (حرف الباء الموحدة)، ثم (حرف التاء المثناة من فوق)، وكان (حرف الياء آخر الحروف).

ويستشهد المؤلف بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة كثيراً، كما يورد العديد من الشواهد الشعرية، وأمنال العرب وأقوالهم، ويعتمد كذلك على الروايات والسماع.

أما الكتاب الآخر في إطار هذه النوعية من المؤلفات فهو (التذيل والتكميل لما استعمل من اللفظ الدخيل) للبشبيشى (ت ٨٢٠هـ). وهو تذييل على كتاب (المعرب من الكلام الأعجمي) للجواليقي؛ إذ يستدرك على الجواليقي ما فاته، ويثبه على ما وقع فيه من أوهام، هو أو غيره، ويظهر ما كان في (المعرب) من تحريف.

رابعاً: معاجم المصطلحات:

يقصد بهذه المعاجم تلك التي تتناول بالتعريف والتحديد مصطلحات العلوم المختلفة، وتسم هذه النوعية من المعجمات بتعدد العلوم والفنون التي تناولها المعجم. وثمة معجمان اثنان يقعان في فترة الدراسة، أعنى القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وهما: (التعريفات)، لعلى بن محمد الجرجاني، (٧٤٠هـ - ٨١٦هـ)، الذي يحسوى على ألفين ومائة وتسعة وثلاثين مصطلحاً. وهو يعد من (معاجم المصطلحات) التي لا تقتصر على فن واحد، بل تعالج العديد من المصطلحات المرتبطة بالكثير من العلوم والفنون، ففيه مصطلحات فقهية، وعروضية، وبلاغية، ونحوية، وحديثية، وفلسفية، وغير ذلك.

ويقول المؤلف - في المقدمة - بعد ديباجة قصيرة: "... وبعد فهذه تعريفات جمعتها، واصطلاحات أخذتها من كتب القوم، ورتبتها على حروف الهجاء من الألف إلى الباء إلى الياء، تسهيلاً تناولها للطلابين، وتيسيراً تعاطيها للراغبين" (١).

وعلى الرغم من الترتيب الهجائي العام في الكتاب، يجعل أول الأبواب (باب الألف)، ثم (باب الباء) ... إلى (باب الياء)، إلا أن المؤلف لم يلتزم بهذا الترتيب في إطار الباب الواحد، فنجده، مثلاً، في (باب الشين) يورد: (الشاهد) قبل (الشاذ)، ونراه يذكر في (باب الميم): (المترادف) قبل (المتباين). ويلاحظ أن

(١) التعريفات. ص ١٥.

المؤلف قد يستشهد في بعض الأحيان بآيات قرآنية. ويورد الجرجاني في آخر الكتاب (رسالة في اصطلاحات الصوفية في الفتوحات المكية)، للإمام الكامل محيي الحق والدين أبي عبد الله محمد بن علي المعروف بابن عربي).

وثاني هذين المعجمين: معجم (مقاليد العلوم في الحدود والرسوم)، المنسوب إلى جلال الدين السيوطي. (ت ٩١١هـ). وقد صَدَّرَ المصنَّفُ هذا الكتابَ بذكر السلطان (أبي الفوارس شاه شجاع)، طالباً منه أن يرضى عن هذه البضاعة، وقد توفي هذا السلطان قبل مولد (جلال الدين السيوطي) باثنتين وستين سنة، إذ كانت وفاة هذا السلطان سنة ٧٨٦هـ، أو سنة ٧٨٧هـ، وكان ميلاد السيوطي سنة ٨٤٩هـ. ولذا يغلب على الظن - كما يقول محقق الكتاب - أن مؤلف هذا الكتاب (سيوطي) آخر، هو (محمد بن الحسن الشيخ شمس الدين السيوطي)، المتوفى سنة ٨٠٨هـ.

يحتوي هذا المصنَّفُ على ١٨٦٢ مصطلحاً، موزعة على واحد وعشرين علماً، هي: التفسير. الحديث. الفقه. أصول الكلام. الجدل. النحو. الصرف. المعاني والبيان. العروض. المنطق. الحكمة. الهيئة. الهندسة. الحساب. الاستيفاء. الموسيقى. النجوم. الطب. الأخلاق. التصوف.

يوضح المؤلف - في مقدمة كتابه - منهجه في إيراد المصطلحات، فيذكر أنه بوبها على واحد وعشرين باباً، يشتمل كل باب على تعريف العلم، ثم على مصطلحات ذلك العلم مجملاً. وتحتوي الأبواب على فصول، وتخلو تلك الفصول من العناوين، ففي الباب الثاني، مثلاً، وعنوانه (في الحديث)، يعرف علم الحديث، ثم يورد العديد من مصطلحات (علم الحديث)، نحو: الصحيح. الحسن. الضعيف. ويعقد بعد ذلك فصلاً فيه بعض المصطلحات، مثل: الإسناد. السند. المتن.

والمؤلف في كل مصطلحات الكتاب يعرضها دون التزام بالترتيب الهجائي، وليس ثمة إشارة في الكتاب إلى المصادر التي عوّل عليها في إيراد تعريفات هذه المصطلحات.



المبحث الثاني:

المعاجم القرآنية

على الرغم من أن المعجمات العربية كانت مسبقة بأعمال لغوية مهدت الطريق لهذه المعجمات، وتمثل ذلك في الرسائل اللغوية الصغيرة وكتب الأضداد، إلا أن البدايات المبكرة والإرهاصات الأولى لهذه المعجمات تمثلت فيما قام به عبد الله بن عباس، المتوفى سنة (٥٦٨هـ)، من جمع للكلمات الغريبة في القرآن الكريم وشرحها، وتفسير ما أشكل على المسلمين فهمه من الألفاظ. ويروى أن أعرابيا أتى إلى ابن عباس، فقال:

تَخَوَّفَنِي مَالِي أَخِي ظَالِمٌ فَلَا تَخَذُلْنِي الْيَوْمَ يَا خَيْرَ مَنْ بَقِيَ
فقال: تَخَوَّفَكَ أَي تَنْقُصُكَ؟ قال: نعم، قال: الله أكبر ﴿أَوْ يَأْخُذُهُمْ عَلَيَّ
تَخَوُّفٌ﴾^(١)، أي تنقص من خيارهم^(٢).

وابن عباس، ابن عم رسول الله ﷺ، وترجمان القرآن، هو الذي دعا له النبي ﷺ، فقال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل»، وهو الذي قال فيه عبد الله ابن مسعود، (وهو أحد الصحابة وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة، وهو الذي قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وعاء ملئ علماً): نعم ترجمان القرآن ابن عباس، وهو "إسناد صحيح إلى ابن مسعود أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة. وقد مات ابن مسعود رضي الله عنه في سنة اثنتين وثلاثين، على الصحيح. وعمر بعده عبد الله بن عباس ستاً وثلاثين سنة. فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود"^(٣).

(١) سورة النحل. الآية (٤٧).

(٢) أمالي القالي: ١١٢، /٢.

(٣) معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري. ص (ب).

وتعد الصحيفة التي عرفت باسم (صحيفة على بن أبي طلحة) في تفسير القرآن الكريم أقدم الروايات التي دونت عن ابن عباس. وقد نقل هذه الصحيفة البخاري، وابن جرير الطبري، وأبو جعفر النحاس، وغيرهم، وتحدث عنها البعض، مثل الذهبي، وابن حجر العسقلاني، والسيوطي، وغيرهم^(١). تلك كانت البداية المبكرة لظهور المعجمات العربية.

وتلا ابن عباس أبو سعيد أبان بن تغلب بن رباح، المتوفى سنة (١٤١هـ)، الذي دون كتاباً في غريب القرآن^(٢).

وتنقسم المعاجم القرآنية قسمين:

أولهما: (معاجم غريب القرآن والحديث):

ويشهد القرنان الثامن والتاسع الهجريان ستة كتب في غريب القرآن والحديث: أولها: (تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب)، لأبي حيان النحوي الأندلسي، المتوفى سنة (٧٤٥هـ)، وهو يعد من أكثر كتب غريب القرآن القديمة اختصاراً، وأوضحها أسلوباً ومعالجة. وقد رتب أبو حيان الكلمات الغريبة على حروف المعجم، بتقسيمها إلى مواد لغوية، بعد تجريدها من الزوائد. وينبني ترتيب الألفاظ عنده حسب الحرف الأول فالحرف الأخير، دون النظر إلى أحشاء الكلمة، إلا أنه لم يلتزم بالترتيب الألفبائي فيما يتصل بالحرف الأخير.

يبدأ أبو حيان معجمه بحرف الهمزة، فحرف الباء، وآخر الحروف عنده حرف الياء. ويبدو عدم التزامه بالترتيب في الحرف الأخير في أنه يورد، مثلاً: (أسن) قبل (أسف)، و(أنف) قبل (أنس).

ولم يكن المؤلف يشير إلى السورة أو الآية التي وردت فيها الكلمة، بل كان

(١) السابق، ص (و).

(٢) انظر: معجم الأدباء: ١ / ٦٧.

يقتصر على ذكر المعنى اللغوي وما يتصل بالمعنى القرآني، فيقول مثلاً. (ثقب: ثاقب: مضى)^(١)، ويقول أيضاً: (قنت: قانتون: مطيعون)^(٢). كما أن المؤلف لم يهتم بالشواهد التي يدل بها على شرحه وتفسيره، أو باختلافات في الآراء، وقليل ما كان يشير إلى لهجات القبائل.

والكتاب مختصر مفيد في غريب القرآن، يعين الباحث على الوصول إلى مبتغاه، دون الولوج في الخلافات والآراء المتباينة.

وقد اختصره الشيخ قاسم الحنفي في كتاب سماه (مختصر كتاب التحفة في غريب القرآن)، وكان الدافع إلى اختصاره الرغبة في تهذيبه وتيسيره وزيادة ما يجب زيادته من الفاظ، ويقول مؤلفه: "لمّا رأيت كتاب (التحفة في غريب القرآن) عقداً تناثرت درره، أحسبت أن أنظمه في أقرب سلك، وهو الحرف الأول والثاني من الحروف الأصلية مميزاً ما ردت بقلت"^(٣).

وثاني هذه المصنفات كتاب (بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب)، لعلاء الدين علي بن عثمان بن إبراهيم المارديني، المعروف بابن التركماني، المتوفى سنة (٧٥٠هـ). يجمع المارديني في هذا الكتاب بين ثلاثة كتب من كتب الغريب: أولها: (تفسير غريب القرآن)^(٤)، لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، وثانيها: (تفسير غريب القرآن)، للسجستاني (ت ٣٣٠هـ)، وثالثها: (الغريبين في غريب القرآن والحديث)، للهروي (ت ٤٠١هـ)، إضافة إلى (الكشاف)، للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، وهو كتاب في التفسير. وكان المؤلف ينقل أولاً عن السجستاني، يليه ابن قتيبة، فإن لم يجد ضالته فيهما نقل من (الغريبين) و(الكشاف). وقد رتب المؤلف كتابه على السور، مبتدئاً بالفاتحة، ومنتهاً بسورة (الناس).

(١) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب. ص ٧٩.

(٢) السابق، ص ٢٥٥.

(٣) المعجم العربي: نشأته وتطوره: ١ / ٣٩.

(٤) ويسمى أيضاً: (نزهة القلوب في غريب القرآن).

ويبين المارديني في مقدمته دافعه إلى تأليف هذا الكتاب، فيقول: إن الناس قد اشتغلوا بتلاوة ألفاظ القرآن، 'وغفلوا عن المقصود الأعظم، وهو فهم مقاصده وأغراضه... فلو سألت عن غريبة من غرائب لوجدت أكثرهم لها جاهلاً، وعن تدبر معناها ذاهلاً' (١).

وكان المؤلف - عند ورود اللفظ للمرة الأولى - يقوم بشرحه وتفسيره، ونادراً ما يعيد تفسيره، ولذا يتسم الكتاب بالإيجاز، والاهتمام باللغة أكثر من العناية بالتفسير، وقلة المفسرين الذين رجع إليهم وأفاد منهم، إضافة إلى قلة النصوص المستشهد بها.

أما المصنّف الثالث فهو كتاب (التيان في تفسير غريب القرآن). لشهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، المتوفى (٨١٥هـ).

يقوم منهج هذا الكتاب على أساس ترتيب الغريب حسب ترتيب السور في القرآن الكريم، فيبدأ الكتاب بالفاتحة، فسورة البقرة، فسورة آل عمران...

ويعنى ابن الهائم باللغات في القرآن عناية كبيرة، ويهتم بتفسير معاني الكلمات، ويبين اشتقاقها، وكان يعود إلى العديد من المعاجم والمصادر اللغوية المختلفة، مثل: (تهذيب اللغة) للأزهري، و (الصحاح) للجوهري، و (القاموس المحيط) للفيروزآبادي، إضافة إلى (صحيح البخاري)، و (الزاهر في معاني كلمات الناس) لابن الأنباري، و (سر صناعة الإعراب) لابن جنى.

وكانت غاية ابن الهائم من تأليف هذا الكتاب تتمثل في تهذيب (تفسير غريب القرآن) لأبي بكر السجستاني (ت ٣٣٠هـ)، الذي يعد - في نظر ابن الهائم - من أنفس ما صنّف في تفسير غريب القرآن^(٢)، فعزّم صاحب (التيان) على توضيح ما غمض فيه، وجمع ما تفرّق من غريب كل سورة، مع زيادة أشياء في بعض المواضع

(١) بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب. ص ٦٩.

(٢) التيان في تفسير غريب القرآن. ص ٤٩.

على الأصل، لتسهيل مطالعته، وتم فائدته، متوخياً التسهيل، متجنباً التطويل، عميراً بين عبارة السجستانى والزيادة التى يأتى بها بالرمز (زه)^(١).

وينهى ابن الهائم كتابه بإيراد (فوائد وتنبهات)، تحدث فيها عن مصنف أصل كتابه، وهو أبو بكر السجستانى، وعن موضوع هذا الكتاب، وهو تفسير غريب القرآن، ويبيّن كيف تم تجاوز موضوع الكتاب إلى ذكر معان تفسيرية. ويعتمد الكتاب على الشواهد الشعرية فى الاستشهاد على الغريب.

ويتصل بمعاجم غريب القرآن كتاب (بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز)، للفيروزآبادى، الذى يعد معجماً لغوياً متميزاً لمواد القرآن الكريم، ومفرداته، وغيره. فبعد مقدمة وعدة مباحث تتعلق بالقرآن الكريم، يعرض الفيروزآبادى لتفسير مفردات القرآن، مثلما صنع الراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ) فى مؤلفه (المفردات فى غريب القرآن). يفسر الفيروزآبادى - فى البداية - الكلمات المفتوحة بحرف الألف، تليها (الكلمات المفتوحة بحرف الباء) .. لكلمات المفتوحة بحرف الياء).

وكان المؤلف يبدأ فى كل حرف بوصفه، وبيان معناه لغةً، ونسبة إليه، واشتقاقه، ففى (حرف الألف) يبين الكاتب وزن الكلمة، واشتقاقها، والمعنى اللغوى لها، ويتحدث عن الألف فى القرآن ولغة العرب، وأنها ترد على نحو من أربعين وجهاً، ثم يتعرض بالشرح والتحليل والتفسير للكلمات المفتوحة بحرف الألف، مثل: الإنسان. الإضافة. الأمر. الإتيان.

وفى (الياء) يبدأ المؤلف ببيان صفة الحرف الصوتية، والنسبة إليه، ووجوهه، ثم الكلمات المفتوحة بحرف الياء، مثل: يثس. ييس. يتم.

ونلاحظ أن المؤلف لا يتبع نظاماً واحداً فى ترتيب المفردات فى إطار الحرف

(١) انظر: السابق. ص ٥٠.

الواحد، فزاه يبدأ بالحرف الأصلي أحياناً، وأحياناً أخرى يقيم اعتباراً للحرف الزائد في الكلمة، فيورد، مثلاً، (الإنزال) في (حرف الألف)^(١).

وقد بين المؤلف في المقدمة - أنه قام بتأليف هذا الكتاب بناءً على أوامر من السلطان الأشرف إسماعيل بن العباس، الذي طلب منه "جمع أشتات العلوم، وضم أنواعها على تباين أصنافها، في كتاب مفرد . . . فيستغنى الحائر له، الفائز به، عن حمل الأسفار في الأسفار"^(٢).

ومن كتب غريب القرآن أيضاً كتاب (عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ)، للشيخ أحمد بن يوسف المعروف بالسمن الحلبي، (ت ٧٥٦هـ). وهو معجم لغوي لالفاظ القرآن الكريم.

ويرتبط بمعاجم (غريب القرآن) ما يناظرها من معاجم (غريب الحديث)، التي تُعنى بإيضاح وتفسير ما يرد في متن الحديث النبوي، من ألفاظ مبهمّة غامضة، تحتاج إلى تفسير وبيان. ولعل طليعة هذا التأليف في هذا النوع من المعاجم تتمثل فيما كتبه النَّضْرُ بن شميل (ت ٢٠٣هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ).

ومما يتصل بمعاجم (غريب الحديث): (التذيل والتذنيب على نهاية الغريب)، للسيوطي، وهي رسالة صغيرة من رسائل غريب الحديث، جمع مؤلفها مادتها من كثير من كتب اللغة والغريب والحديث.

وكان السيوطي قد اختصر (النهاية في غريب الحديث والأثر)، لمجد الدين بن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، في كتاب سماه (الدر الثمير)، اقتصر فيه على تفسير الألفاظ دون إيراد الأحاديث الواردة في (النهاية). ثم جمع السيوطي هذه الزيادات التي أوردها في (الدر الثمير) في هذه الرسالة التي سماها (التذيل والتذنيب)، التي يقول في مقدمتها:

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز: ٢٩ / ١.

(٢) السابق: ٣٤ / ١.

«إن (النهاية في غريب الحديث)، للإمام ابن الأثير، أجل كتاب ألف في الغريب، وأجمعه للبعيد منه والقريب، وقد فاته جمعٌ يحتاج إليه الطالب، ويفتقر إلى تتبعه كل راغب، وقد لخصت كتابه في مجلد في غاية التنقيح والتهديب، وضمنت إليه زوائد قربتها أحسن تقريب، ثم بدا لي أن أفرد ما فاته بتأليف يتنفع به من عنده (النهاية) . . . وقد سميته (التذليل والتذيب على نهاية الغريب)»^(١).

ويقوم ترتيب مواد (التذليل والتذيب) على الحروف الهجائية، فأولها (حرف الهمزة)، يليها (حرف الباء)، إلى (حرف الواو). ويعتمد السيوطى على (الصحيح) للجوهرى، و (غريب الحديث) لابن الجوزى، و (أمالي ثعلب)، و (المحكم) لابن سيده، و (القاموس المحيط) للفيروزآبادى، وغيرها من أمهات الكتب.

القسم الثاني من المعاجم القرآنية:

(معاجم المعرب في القرآن):

وتتمثل (معاجم المعرب في القرآن) في كتابين للسيوطى:

أولهما: (المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب). ويعنى السيوطى في هذا الكتاب بما وقع في القرآن من ألفاظ معربة: فارسية، أو حبشية، أو نبطية، أو عبرانية، أو قبطية، أو غير ذلك. ويوضح المؤلف ما قام به في كتابه هذا، فيقول: لقد 'تبعنت فيه الألفاظ المعربة التي وقعت في القرآن، مستوعباً ما وقعت عليه من ذلك، مقروناً بالعزو والبيان'^(٢).

والألفاظ المعربة الواردة في (المهذب) مرتبة على حروف المعجم، فأول الحروف: (حرف الهمزة)، يليه (حرف الباء)، وآخرها (حرف الياء). ويخلو الكتاب من خمسة أحرف، هي: الثاء، والخاء، والذال، والضاد، والطاء.

وتتفاوت الكلمات الواردة في إطار كل حرف، من حيث الكثرة والقلة، فبينما يرد في (الهمزة) عشرون كلمة، وفي (السين) خمس عشرة كلمة، وفي (الميم) ثلاث

(١) التذليل والتذيب على نهاية الغريب. ص ٣٣.

(٢) البيان في تفسير غريب القرآن. ص ٤٩.

عشرة كلمة، نجد أن نصيب (الزاي) كلمة واحدة، ومثلها (اللام). وثمة أحرف تميزت بالتوسط في العدد، مثل (الباء)، التي يجيء معها سبع كلمات.

وقد أورد السيوطي تلخيصاً لهذه الألفاظ المعربة في كتابه (الإتقان في علوم القرآن)، وذلك في النوع الثامن والثلاثين (فيما وقع فيه بغير لغة العرب)؛ إذ يقول: "لقد أفردت في هذا النوع كتاباً سمّيته (المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب)، وها أنا أخص هنا فوائده"^(١).

وثانیهما: (المتوكلي). ويليها (رسالة في أصول الكلمات)، من تأليفه أيضاً. وقد أورد السيوطي في هذا الكتاب الصغير ما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ باللغات: الحبشية، والفارسية، والهندية، والتركية، والزنجية، والنبطية، والقبطية، والسريانية، والعبرانية، والرومية، والبربرية.

لم يلتزم السيوطي في (المتوكلي) - الذي سماه بهذا الاسم نسبة إلى أمير المؤمنين وارث الخلفاء الراشدين الإمام المتوكل - بالترتيب الهجائي في إيراد الكلمات، ففي (ذكر ما ورد في القرآن بلغة الحبشة) يأتي (الجبث)^(٢)، بمعنى الشيطان، قبل (أوآه)^(٣)، بمعنى الموقن أو المؤمن. وفي (ذكر ما ورد في القرآن بالرومية) يورد (القسطاس)^(٤)، بمعنى العدل أو الميزان، قبل (الرقيم)^(٥)، بمعنى اللوح.

أما رسالته في أصول الكلمات فيعرض فيها الأصل اللغوي لعشرات الألفاظ،

(١) الإتقان في علوم القرآن: ١ / ٤٢٧.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّغُوتِ﴾. سورة النساء. الآية (٥١).

(٣) ويرد اللفظ في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَرَاهُ حَلِيمٌ﴾. سورة التوبة. الآية (١١٤).

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾. سورة الإسراء. الآية (٣٥).

(٥) ويجيء في قوله جل شأنه: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾. سورة الكهف. الآية (٩).

وترد عنده دون ترتيب، فيأتى مثلاً: (الصراط) قبل (السفه)، و(الطغيان) قبل (التلاوة)، فيقول: (أصل الصراط: الطريق فى كلام العرب... أصل السفه: الخفة والرقه... أصل الطغيان: مجاوزة الحد... أصل التلاوة: الإتياع)^(١).



(١) المتوكلى. ص ١٤.

obeikandi.com

المبحث الثالث:

معاجم التراجم

يُقصد بمعاجم التراجم تلك الكتب التي تهتم بالشخصيات التي كان لها تأثير لا يُجحد في الحياة، وبصمات لا تُنكر في التاريخ، وهو ما عُرف بفن التراجم. وكان المؤلف في إطار هذه النوعية من المؤلفات يذكر ميلاد المترجم ووفاته، ورحلاته، ومصنفاته، ومكانته، ووظائفه، ومناصبه، وتلامذته، وشيوخه، وكان الاهتمام يمتد ليشمل الحوادث والأحداث العامة التي يكون العَلَم أو المترجم قد شارك فيها، أو عاصرها، أو كان منها، أو كانت منه بسبب، بل إن بعض مصنفى كتب التراجم يعرض للحوادث والأحداث بدواعي الاستطراد ليس غير. والاستطراد سمة من سمات التأليف عند كثير من علمائنا ومؤرخينا^(١).

وكان بعض هذه المعاجم مرتباً على الأسماء، مثل: (الوافى بالوفيات) للصفدى، وبعضها كان مرتباً على الألقاب، مثل: (نزهة الألباب في الألقاب) لابن حجر العسقلاني، وكان البعض الآخر معنياً بالأنساب، مثل: (لُب اللباب في تحرير الأنساب) للسيوطي.

ومن هذه المعاجم ما جاء مرتباً على القرون، مثل:

(الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) لابن حجر، ومنها ما تعلق بالأقاليم، مثل (الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد) للأدفي.

ورثمة معجمات ارتبطت بفئات أو وظائف أو مهن، مثل: (البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة) للفيروزآبادي، وبعض هذه المعجمات كان ذا اتصال بطبقة اجتماعية، مثل: (الفلاكة والمفلوكون)، أو بأصحاب صفة خلقية، مثل: (نكت الهميان في نكت العميان).

(١) أعمار الأعيان. ص ٨.

وتنقسم معاجم التراجم قسمين، هما:

أولاً: معاجم التراجم العامة

وتشمل ما يلي:

(أ) معاجم مرتبة على الأسماء والألقاب والأنساب:

يشهد القرنان الثامن والتاسع الهجريان العديد من المعاجم المرتبة على الأسماء والألقاب والأنساب.

وأول هذه المصنفات:

(سير أعلام النبلاء)، للذهبي (ت ٧٤٨هـ)، الذي تناول فيه تراجم لأربعين ألف شخصية من مختلف الأقطار، ودرس فيه تاريخ الإسلام على مدى سبعة قرون، منذ الهجرة النبوية حتى نهاية القرن السابع الهجري، وكانت الرقعة المكانية عنده واسعة؛ إذ امتدت من المشرق إلى بلاد الأندلس.

ومن هذه المصنفات المرتبة على الأسماء:

(الوافي بالوفيات)، للصفدي (ت ٧٦٤هـ)، الذي أورد في كتابه هذا تراجم لأعلام المسلمين من الصحابة، والتابعين، والملوك، والخلفاء، والوزراء، والأدباء، والشعراء، والكتّاب، والفقهاء، والقراء، والمشايخ، والأولياء، والنحاة، والحكماء، والقضاة، والتابعين في كل علم وفن.

وكانت الغاية من تأليف هذا الكتاب استخلاص العظة والعبرة، والوقوف على أهمية التاريخ، الذي قد يفيد 'حزماً، وعزماً، ومنوعة، وعلماً، وهمةً تذهب هماً، وبيانا يزيل زهناً وهماً' (١).

(١) الوافي بالوفيات: ١ / ٥.

وقام ترتيب الكتاب على حسب الحروف الهجائية، مبتدئا بالنبى ﷺ، ثم من اسمه (محمد)، ثم بدأ بعد ذلك من حرف (الألف)، و(الباء)، و(التاء)، إلى حرف (الياء). وكان يذكر تاريخ وفاة كل صاحب ترجمة، ونادرا ما شذ عن ذلك، وتكون العلة حينئذ عدم التحقق من تاريخ الوفاة. وكان الصفدى حريصا على ذكر المصدر الذى أخذ عنه، جاعلا لكل اسم بابا، مقسما كل باب إلى فصول، مترجما لكل ذى أهمية ومكانة، مسلما كان أم غير مسلم.

وهناك أيضا (قَوَاتُ الوَفَيَاتِ والذَّيْلُ عَلَيْهَا)، لابن شاکر الکتبى، (ت ٧٦٤هـ)، التى كانت تديلا على (وفيات الأعيان)، لابن خلکان (ت ٦٨١هـ) واستدراكا عليه، فقد وجد الکتبى أن ابن خلکان لم يذكر أحدا من الخلفاء، وأنه أخل بتراجم بعض الفضلاء والناهبين، فأراد أن يصنع كتابا يورد فيه من لم يرد له ذكر فى (وفيات الأعيان) من الخلفاء والفضلاء.

ويبدو أن ابن شاکر وضع 'امامه كتاب الصفدى (الوافى بالوفيات)، فاختر منه عددا من التراجم (ربما لم تزد على ستمائة) ... وتولى ما ينقله ببعض الاختصار ولم يزد شيئا فى المعلومات التاريخية والإخبارية، وإنما راد فى بعض المختارات الشعرية، وحاول حقا ألا يكرر ما أورده ابن خلکان من تراجم^(١).

ويتصل بهذه النوعية من الكتب:

(الوفيات)، لتقى الدين السلمى، (ت ٧٧٤هـ)، الذى جعله صاحبه ذبلا على كتاب (المقتفى لتاريخ أبى شامة)، للقاسم بن محمد البرزالى، المتوفى سنة (٧٣٩هـ)، ويعرف باسم (وفيات البرزالى). وقد توقف السلمى عند سنة وفاته (٧٧٤هـ)، واعتمد على تاريخ وفاة من يترجم له، وجعل هذا التاريخ أساسا للترتيب وضمه العديد من الشعراء، والأدباء، والفقهاء، والمؤرخين، والسلاطين، والخلفاء، والأطباء، والكتّاب، وغيرهم.

(١) قوات الوفيات: ١ / ٤، ٥.

وحظى المحدثون بعناية السَّلامى، فشنلوا الحيز الأكبر فى كتابه هذا، كما وَجَّهَ جُلَّ اهتمامه إلى (وفيات) بلاد الشام، فعُنَى بها وأفرد لها الحيز الأكبر، دون أن يهمل ما عداها من (وفيات) فى بقية البلاد والأصقاع.

وكان شيخنا يبدأ بذكر تاريخ الوفاة، ثم لقب المترجم، وكنيته، واسمه، وحرَّصَ على إيضاح من سمع صاحب الترجمة منهم، ومن تتلمذ عليهم، مبيِّنا مكانته ومناصبه التى تولاها.

ومن كتب التراجم المهمة أيضا:

(الوفيات)، لابن الخطيب، ويعرف أيضا بابن قنفذ (ت ٨٠٩هـ)، وهو عبارة عن معجم أو تاريخ صغير لوفيات الصحابة، والعلماء، والمحدثين، والفقهاء، والمفسرين، والمؤلفين، والشعراء. وهو مرتب على القرون وعلى تواريخ وفياتهم، من (سنة ١١هـ) إلى (سنة ٨٠٧هـ). وقد بدأه صاحبه بالمائة الأولى من (١-١٠٠هـ)، واستهلها بوفاة النبى ﷺ (سنة ١١هـ)، ووفاة فاطمة ؓ، ثم (فصل فى العشرة ؓ)، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبى وقاص. يليه (فصل فى أمهات المؤمنين ؓ).

ويحتوى الكتاب على تراجم للعديد من الشخصيات، والحديث عن كل منها قصير موجز. وشخصياته متنوعة، فهناك ليبد بن ربيعة، ومعاوية بن أبى سفيان، (مؤسس الدولة الأموية بالشام)، والإمام الشافعى، والمبرد، صاحب (المقتضب)، والطبرى، (المؤرخ والمفسر)، والزجاج، والزجاجى، والشعالى، صاحب (يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر)، وغيرهم.

وقد توقف ابن الخطيب عند العشرة الأولى من المائة التاسعة، بالحديث عن وفاة محمد بن عبد الرحمن المراكشى العزيز سنة ٨٠٧هـ.

ويرتبط بهذه المعجمات كتاب (المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى)، لابن

تغرى بردى^(١) (ت ٨٧٤هـ). الذى يعد معجماً تاريخياً متميزاً، إذ يضم تراجم لما يقرب من ثلاثة آلاف عَلم، من ملوك، وخلفاء، وسلاطين، وأمراء، ووزراء، وشعراء، وأدباء، وخطباء، وأطباء، ومؤرخين، وأعيان، وأصحاب حرف مختلفة، ممن عاشوا فى مصر والشام واليمن والحجاز وبلاد الأندلس، وكذلك بعض النساء الشهيرات.

وقد بدأ الكتاب من أوائل الدولة التركية (أو كما يقال الدولة المملوكية)، من حكم السلطان المعز أيبك التُركماني سنة ٦٤٨هـ إلى سنة ٨٦٠هـ، وبدأ بترجمة المعز التركماني ثم رتب أعلامه على الحروف الهجائية مبتدئاً بحرف الألف.

واعتمد (المنهل الصافى) على (الوافى بالوفيات) للصفدى، فى اختيار تراجمه، إلا أن (المنهل) أضاف إلى تراجم (الوافى) تراجم أعيان ما يقرب من قرن من الزمان.

ويتصل بهذا الكتاب أيضاً: (الدليل الشافى على المنهل الصافى)، للمؤلف نفسه، وهو اختصار للمنهل الصافى ودياجة له، كما يقول مؤلفه، الذى رتب على ترتيب (المنهل) من أوله إلى آخره، واختصر فيه التراجم، إلا أن هناك تراجم جاءت فى (الدليل الشافى) ولم ترد فى (المنهل الصافى)، كما أن (المنهل) قد تضمن تراجم سقطت من الدليل.

وأول الحروف عنده (حرف الهمزة)، ثم (حرف الباء ثانياً الحروف)، ثم (حرف التاء المثناة)، إلى (حرف الياء آخر الحروف).

وكتب ابن تغرى بردى أيضاً: (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة). وهو موسوعة تاريخية؛ إذ يتناول تاريخ مصر بترتيب السنين بدءاً من فتح عمرو بن العاص لمصر سنة ٢٠ هـ، وهو يذكر ولاية مصر من السلاطين والملوك، ومن توفى من أعلام الإسلام فى دولة كل خليفة أو سلطان، إلا إنه كان مختصراً فى ترجماته.

وقد اختصره مؤلفه فى كتاب آخر، هو: (الكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة)، وجعله كالذيل على كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك)، لتفى الدين

(١) ومعناها - بلغة التار: عطاء الله، أو الله اعطى.

أحمد بن علي المقرئ، المتوفى سنة ٨٤٥هـ. وبدأ فيه من أخبار سنة ٨٤٥هـ إلى سنة ٨٧٢هـ.

وثمة تراجم ملحقة بكتب متخصصة، ويتبدى ذلك فيما أورده السيوطي في آخر كتابه (المزهر)، في الأنواع: الرابع والأربعين، والخامس والأربعين، والسادس والأربعين، والسابع والأربعين. ولم يكن السيوطي في كل هذه الأنواع يلتزم بالترتيب الهجائي في إيراد الأعلام.

ومن الكتب المرتبة على حروف المعجم والمعنية بالألقاب: (نزهة الألباب في الألقاب)، لابن حجر العسقلاني. (ت ٨٥٢هـ).

وقد جمع ابن حجر في هذا الكتاب كل الألقاب في المشرق والمغرب، منذ الجاهلية حتى القرن التاسع الهجري. ويبين المؤلف أهمية معرفة الألقاب، فيذكر أنها قد تأتي في السياق مجردة عن الأسماء، وأن الحضيف قد لا يعرفها، ويوضح أن الألقاب تنقسم إلى أسماء وكنى وأنسب، وإلى قبائل وبلدان ومواطن وصنایع، وإلى صفات في المُلقَّب^(١).

وقد نظر ابن حجر في بعض كتب الطبقات والألقاب، فأفاد منها، وأضاف إليها، واستدرك عليها، ورتب كتابه على ثلاثة أبواب:

الأول: في الألقاب بألفاظ الأسماء، والحقق بها الصنایع والحرف: كالقبائل، والصفات: كالاعمش.

والثاني: في الألقاب بألفاظ الكنى، مثل: (أبو البشر: آدم عليه السلام)، و(أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة).

والثالث: في الألقاب بألفاظ الأنساب إلى القبائل والبلدان وغيرها، مثل: (الزجاجي: عبد الرحمن بن إسحاق)، و(الكسائي: علي بن حمزة، المقرئ المشهور

(١) نزهة الألباب في الألقاب. ص ١١.

أبو الحسن الكوفي الإمام النحوي)، و(المتنبي: الشاعر أحمد بن الحسين بن الحسن الكندي، ويكنى أبا الطيب).

وقد رتب كل باب من هذه الأبواب على حروف المعجم. ويجه قبل الباب الأول: (فصل من لقب بما يكره)، أورد فيه عدم جواز أن يدعى أحد بما يكره من ألقاب، إلا عند قصد التعريف به، لتمييز من غيره بغير قصد دم. وتسم ترجمات الكتاب بالإيجاز والاختصار.

وتشهد فترة الدراسة كتابا مهما في (الأنساب)، هو (لُب اللُّباب في تحرير الأنساب)، للسيوطي. (ت ٩١١هـ).

ويبين السيوطي مقصده من تأليف هذا الكتاب، فيقول: إنه لمس حاجة المحدث اللبيب إلى مختصر في الأنساب، واف بالمقصود، كاف عن التّطالِب، خالٍ عن التطويل مما يخرج عن هذا الباب^(١). ويوضح عمله فيه، فيضيف: لقد "نقحت فيه اللباب لابن الأثير، واستوفيت ضبط ألفاظه مع مزيد عليه كثير، وتتبع فيه أشياء أهملها، واستدركت عليه ألفاظا أغفلها، وميزت روائدي بانتهى آخرها وقلت أولها، وسميته: (لب اللباب في تحرير الأنساب)"^(٢).

يهتم السيوطي في هذا الكتاب بالأنساب، مثل: (الأردني، بالضم، وسكون الراء وضم المهملة وتشديد النون: إلى أردن، بلد بساحل الشام)^(٣)، و(العجمي، بفتحيتين: إلى العجم وبلاد فارس، ومن لسانه لا يُحسن العربية)^(٤)، و(المسدي، بالضم والفتح وتشديد المهملة: الذي يعمل سدّي الثياب)^(٥).

ورتب المؤلف (لب اللباب) على حروف المعجم، فأول الأبواب عنده (باب

(١) لب اللباب في تحرير الأنساب. ص ٢.

(٢) السابق. ص ٩.

(٣) السابق. ص ٢.

(٤) السابق. ص ١٧٦.

(٥) السابق. ص ٢٣٥. والسدي: ما يمد طولاً في النسيج.

الألف الممدودة)، يليه (حرف الباء)، إلى (حرف الواو)، وبعده (حرف الهاء)، ثم (حرف اللام ألف)، وأخيراً (حرف الياء).

ويذكر السيوطي في آخر كتابه أنه قد اختصره في عشرة أيام متوالية، وقد تم ذلك سنة ٨٧٣هـ، وأنه كان عازماً على استقصاء ما فات السمعاني، ولكنه اقتصر على هذا القدر. وقد أورد في هذا الكتاب كثيراً مما فات ابن الأثير والسمعاني، وأغلب ما زاده فيه كان من (معجم البلدان) لياقوت الحموي.

وقد جمع المؤلف في هذا الكتاب^١ الأنساب إلى القبائل والبطون: كالقرشي والهاشمي. وإلى الآباء والأجداد: كالسليمانى والعاصمى. وإلى المذاهب في الفروع والأصول: كالشافعي، والحنبلي، والحنفي، والأشعري، والشيوعي، والمعتزلي. وإلى الأمكنة: كالبغدادى، والموصلى. وإلى الصناعات: كالخيّاط، والكيّال، والقصاب، والجزّار. وذكر أيضاً الصفات والعيوب: كالطويل، والقصير... والضرير. واللقاب: كجزرة، وبلحة^(١).

ومن كتب الأنساب والكنى والألقاب (المشتبه في الأسماء والأنساب والكنى والألقاب)، للذهبي المتوفى (٧٤٨هـ). و (تحفة ذوى الأرب في مشكل الأسماء والنسب) لابن خطيب الدهشنة، المتوفى (٨٣٤هـ)، و (تبصير المنتبه بتحرير المشتبه)، لابن حجر العسقلاني.

(ب) معاجم مرتبة على القرون والأقاليم:

شهد في القرنين الثامن والتاسع الهجريين أربعة معاجم مرتبة على القرون والأقاليم، ثلاثة منها تجيء لأعلام القرنين المذكورين، ويسختص الرابع بأعلام إقليم (قوص) بصعيد مصر. وأول هذه المعاجم: (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) لابن حجر. جمع ابن حجر في هذا الكتاب تراجم من كان في المائة

الثامنة من الهجرة النبوية، بدءاً من سنة إحدى وسبعمئة إلى آخر سنة ثمانمائة، من الأعيان، والعلماء، والملوك، والأمراء، والكتّاب، والوزراء، والأدباء، والشعراء، واهتم أيضاً برواة الحديث النبوي، من أدركه ولم يلقه، ومن لقيه ولم يسمع منه، ومن سمع منه. واعتمد في كتابه على كثير من المصنفات، مثل: (ذهبية القصر) لشهاب الدين بن فضل الله، و (تاريخ مصر) لقطب الدين الحلبي، و (ذيل سير النبلاء) للحافظ شمس الدين الذهبي، و (الوفيات) لتقي الدين بن رافع، و (تاريخ غرناطة) لابن الخطيب وغيرها.

رتب ابن حجر كتابه على حروف المعجم، فأول الحروف عنده (حرف الألف)، وبدأه بمن اسمه (إبراهيم) تبركا، ويقول: إنه "كان الأليق أن نبدأ بالهمزة الممدودة، لأن بعدها ألف، وهي قبل الباء، ولكن لم أجد في ذلك من الفقهاء أحداً، بل وجدت مثل (أقش) من الأتراك ونحوهم، و(آمنة) من النساء، وغير ذلك، فجعلت (أقش) في (اق)، و(آمنة) في (ام)، ونحو ذلك" (١). وكان (حرف الياء الأخيرة) آخر الحروف عنده.

واهتم ابن حجر في ترجماته بذكر تاريخ الميلاد، وصفات المترجم، وأعماله، وتاريخ وفاته، كما يهتم بضبط العكّم بالعبارات الدالة على الضبط. ويحوى الكتاب خمسة آلاف وثلثمائة وثلاثاً وعشرين ترجمة.

وثاني هذه المعاجم: (ذيل الدرر الكامنة في أعيان المائة التاسعة)، للمؤلف نفسه. ويبين المؤلف في مقدمة كتابه دافعه إلى تأليف هذا الكتاب، فيقول: "كنت قد علّقتُ تاريخاً خاصاً بأعيان المائة الثامنة التي ولدت في أثنائها، فلما شارَفَ بأن يكمل رأيت المائة التي تليها قد دخل منها أكثر من الثلث، فأردت أن أضع على ذلك الأول ذيلاً يشتمل على الأعيان الخاصة بالثاني، فالتمس مني بعض الأجلة الأعزّة أن أجعل هذا الثاني على السنين، لتحقيق عدم استيعاب المائة التاسعة" (٢).

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ١١ / ١.

(٢) ذيل الدرر الكامنة في أعيان المائة التاسعة. ص ٢٥.

جعل ابن حجر كتابه مرتباً على السنين، فأوله (ذكر من مات في سنة إحدى وثمانمائة)، يليه (سنة اثنتين وثمانمائة)، وبعدهما (سنة ثلاث وثمانمائة) حتى (سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة)، وكان يرتب الاعلام في إطار كل سنة حسب الترتيب الهجائي، إلا أنه لم يكن يلتزم بهذا الترتيب في بعض الأحيان.

وحرص ابن حجر في كل ترجمة على ذكر وظيفة المترجم، وأصله، وصفاته، ورحلاته، وميلاده، ومؤلفاته، وقد يذكر الشهر الذي مات فيه.

ومن المصنفات المهمة المرتبة على القرون: (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع)، للسخاوي. (ت ٩٠٢هـ). يورد السخاوي في هذا الكتاب اعلام القرن التاسع، بدءاً من سنة إحدى وثمانمائة، من العلماء، والقضاة، والصلحاء، والرواة، والادباء، والشعراء، والخلفاء، والملوك، والأمراء، والوزراء. ولا يقتصر فيه على بلد معين، بل يذكر فيه من اشتهر أمره في مصر، والشام، والحجاز، واليمن، وغيرها. وقد رتب على حروف المعجم، الترتيب المعهود في الأسماء والآباء والأنساب والجدود، مبتدئاً من الرجال بالأسماء، ثم بالكنى، ثم بالأنساب، والألقاب، فيبدأ في (حرف الألف) بالهمزة الممدودة، ثم بالهمزة التي بعدها باء، ثم بالتى بعدها راء، وهكذا. ثم يجيء (كتاب الكنى)، ويذكر فيه من لم يعلم اسمه، أو علم ولكن لم يشتهر به، أو اشتهر ولكن بها أكثر^(١)، ويرتب على (حرف الألف)، ثم (حرف الباء الموحدة) ... وبعده (كتاب الألقاب)، وأورد فيه ما "أضيف إلى الدين ممن اشتهر بذلك، أو كان به أشهر من الاسم ونحو ذلك"^(٢)، ثم (كتاب الأنساب)، وهو قسمان: أولهما: (حرف الألف)، وثانيهما: (كتاب من عرف بابن فلان). ويأتي بعد ذلك (معجم النساء)، وهو مرتب أيضاً على الحروف الهجائية، وأخيراً (كتاب الكنى)، وهو خاص بالنساء.

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: ٦ : ٢.

(٢) السابق: ٦ / ١٥٢.

وكان السخاوى حريصاً على ذكر اسم المترجم كاملاً، وما عُرف به، والوظائف التي تولاها، ومؤلفاته، ومذهبه. وقد يطيل في الترجمة للمعلم، وقد يختصر إلى حد إيراد السطر الواحد عن المترجم. وكان يقتصر في تاريخ الوفاة على أن يقول مثلاً: (مات سنة ثمان وتسعين)، دون ثمانمائة، لوثوقه بأنه ليس ثمة لبس. وقد لا يذكر تاريخاً للوفاة، متى جهله، فيكتفى بالقول، (وما علمت متى مات).

أما كتب التراجم المرتبة على الأقاليم، فتمثل في كتاب (الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد)، للأدقوى (ت ٧٤٨هـ).

ألّف الأدقوى كتابه (الطالع السعيد) بناءً على طلب من شيخه وأستاذه أبي حيان العرناطى الأندلسى، المتوفى سنة (٧٤٥هـ)، الذى أشار على تلميذه أن يسجل أعلام النهضة العلمية والأدبية والثقافية فى صعيد مصر فى كتاب.

ترجم المؤلف فى هذا الكتاب لأعلام عصره من إقليم (قوص) وأعماله ومدنه. ويعود اختيار الكاتب للكتابة عن (قوص) إلى أنه قد نشأ فيه، وانتسب إليه، فأراد - كما يقول - أن يحيى ما مات من علم علمائها، وأن ينشر ما انطوى من فضل فضلائها، فاستجاب لإشارة أستاذه أبي حيان، الذى طلب منه أن يضع تاريخاً للصعيد.

سجل الأدقوى فى هذا الكتاب كل فنى علم أو أدب، ولم يكن يذكر الأحياء إلا نادراً، ورتب الأعلام فيه على حروف المعجم، إلا أنه لم يلتزم بهذا الترتيب فى كثير من الأحيان. والأعلام الواردة بالكتاب من الرجال، عدا أربع سيدات.

وأول أبواب الكتاب (باب الهمزة)، ويبدأ باسم (إبراهيم)، يليه (باب الباء) ... إلى (باب الألف)، الذى يليه (باب فى الكنى)، وهو آخر الأبواب.

ثانياً: معاجم التراجم الخاصة:

ونعنى بها تلك المعاجم التي وُضعت لفئة معينة، أو طائفة محددة، أو لأصحاب وظائف خاصة، أو لبعض المتبتمين لحرمة أو مهنة، أو لمن كانوا متبسين لطائفة اجتماعية، أو لأفراد اتصفوا بصفة خَلقية محددة:

وتنقسم معاجم التراجم الخاصة إلى ما يلي:

(١) معاجم تراجم الفقهاء والقراء والمفسرين والحفاظ:

ثمة كتب عديدة وضعها أصحابها بغية تسجيل الفقهاء الذين يتمون إلى مذهب معين، ومن ذلك (طبقات فقهاء الشافعية)، لابن قاضي شُهبة^(١) (ت ٨٥١هـ)، الذي تضمن التراجم التي تكثر حاجة الفقهاء إليها. ويذكر المؤلف في مقدمة كتابه أنه سيقنصر "فيه على تراجم من شاع اسمه، واشتهر ذكره، واحتاج طالب العلم إلى معرفة حاله . . . وهذا في الحقيقة هو المقصود من طبقات الشافعية، ولا أذكر غير المشهورين . . . لأن الإكثار من تلك التراجم يكثر على طالب الفقه، ويختلط عليه مقصوده بغيره . . . وأذكر في المائة الثامنة والتاسعة، من لم يوجد فيه هذا الشرط، سرب زمانهم. **والتشويق لسماح أخبارهم**"^(٢).

وقد رتب ابن قاضي شُهبة كتابه على تسع وعشرين طبقة، وجعل الطبقة الأولى من الآخذين عن الإمام الشافعي، والثانية فيمن كان من الأصحاب إلى الثلثمائة، وبعد ذلك يذكر كل عشرين سنة طبقة، وكل طبقة مرتبة على حروف المعجم.

(١) هو تقي الدين أبي بكر بن أحمد، ولُقّب بابن قاضي شُهبة، لأن نجم الدين عمر، وهو أبو جد أبي بكر، تولى منصب القضاء في بلدة (شُهبة)، إحدى بلاد جبل حوران مدة أربعين عاماً، فعرف أبناؤه وأحفاده من بعده ببني قاضي شُهبة.

(٢) طبقات الفقهاء الشافعية: ١ / ١٩، ٢٠.

ومن معاجم تراجم الفقهاء أيضاً: (طبقات الشافعية الكبرى)، للسُّبكي (ت ٧٧١هـ)، الذي يعرض تراجم فقهاء الشافعية، منذ الإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠هـ - ٢٠٤هـ)، إلى منتصف القرن الثامن، و (طبقات الشافعية)، لتاج الدين الإسنوي (ت ٧٧٢هـ). وهناك (الجواهر المضية في طبقات الحنفية)، للقرشي (ت ٧٧٥هـ)، و (الذيل على طبقات الحنابلة)، لابن رجب (ت ٧٩٥هـ)، و (الدباج المذهب في تراجم أعيان المذهب)، لابن فرحون (ت ٧٧٩هـ)، وهو من فقهاء المذهب المالكي وأعيانه، و (تاج التراجم في طبقات الحنفية)، لقاسم بن قُطُوبُغا، (ت ٨٧٩هـ)، وهو مرتب على الحروف.

ومن الكتب التي عُنيت بالقراء: (معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار)، للذهبي (ت ٧٤٨هـ)، و (طبقات القراء)، ويسمى (غاية النهاية في طبقات القراء)، لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) وقد اختصره من كتاب آخر له، اسمه (نهاية الدرايات في أسماء رجال القراءات).

“أما الكتب التي كان موضوعها أهل التفسير، فأهمها (طبقات المفسرين)، للسيوطي (ت ٩١١هـ)، وقد تحدث فيه عن المفسرين الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، والمفسرين المعتزلة والشيعة. وقد أورد فيه مائة وستاً وثلاثين ترجمة، وله أيضاً (طبقات الحفاظ).

ويتصل بهذه التراجم: (الإصابة في تمييز الصحابة)، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، و (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب)، لابن عنبه (ت ٨٢٨هـ)، الذي يُعنى فيه بأنساب الطالبين، فيجمع بين الفروع والأصول، وينسب على مواطن الخطأ والخلاف.

(ب) معاجم تراجم النحاة واللغويين:

تشهد فترة الدراسة أربعة كتب كان موضوعها تراجم أئمة النحو واللغة. وتعد هذه الكتب في صدارة المؤلفات التي تهتم بهذا اللون من التراجم. وأول هذه

المصنفات: (إشارة التعمين في تراجم النحاة واللغويين)، لعبد الباقي عبد المجيد اليماني (ت ١٧٤٣هـ): الذي يترجم لطائفة من علماء اللغة والنحو، الذين برعوا في دراسة اللغة، ونالوا شهرة ملحوظة في هذا الميدان.

ولم يكن اليماني ينقل عن سابقه بلا وعى أو مناقشة أو تعليق، بل كان يحقق ما يكتب، وينقد ما يدون، ويتحرى الدقة والصواب. وكان ناقدًا للرواية والرواة، عالما بطرق الجرح والتعديل.

وقد رتب المؤلف كتابه على حروف المعجم، فأول الحروف (حرف الهمزة)، يليه (حرف الباء)، وآخر الحروف (حرف الياء). ويقول في مقدمة كتابه: إنه قد وضع 'مختصرا لطيفا، يترجم عن أحوال النحويين واللغويين، ممن اشتهر بمصنّف، مطولا كان أو مختصرا، على سبيل الإمكان، فيما بلغنى علمه... على سبيل الاختصار، متجنبًا الإطالة والإكثار، مرتبا على حروف المعجم' (١).

وحرص اليماني على ذكر اسم الشهرة بجوار اسم صاحب الترجمة، فمثلا عظم الحلوث من (أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان التّونخي المعري) ذكر (أبو العلاء المعري)، وبيجوار (أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري أبو الفضل الميداني) كتب (الميداني)، وكان (الأخفش الأوسط) مذكورا بجانب (سعيد بن مسعدة المجاشعي).

وثاني هذه المصنفات هو: (البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة)، للفيروزآبادي (ت ١٨١٧هـ)، الذي يحتوى على أربعمئة وعشرين ترجمة. وكان من بين من ترجم لهم شعراء، وأدباء، وفقهاء، إلا أنهم كانوا جميعًا من أئمة النحو واللغة.

أورد المؤلف في هذا الكتاب تراجم لأكابر النحاة واللغويين منذ نشوء علم النحو وعلم اللغة حتى عصره، ورتب تراجمه على حروف المعجم، فبدأ بالالف، فالتاء،

(١) إشارة التعمين في تراجم النحاة واللغويين. ص ٣.

إلى حرف الباء.. وترجماته القليل منها يبلغ صفحة أو صفحتين، والكثير منها مختصر، قد لا يتعدى سطراً أو سطرين أو بضع كلمات. وقد يذكر أحياناً صاحب الترجمة فحسب، متبعاً ذلك بقوله: (لم أقف له على ترجمة).

ويتسم كتاب (البلغة) بالإيجاز وعدم التطويل دون إخلال، ولعل الفيروزآبادي قصد هذا الإيجاز توجيهاً للاختصار. وكان المؤلف جريصاً على ذكر لقب صاحب الترجمة، وكنيته، وإيراد بعض مؤلفاته ومصنفاته، وبيان سنة وفاته، مع الاستشهاد ببعض من شعر المترجم في بعض الأحيان.

ومن المعاجم التي اهتمت بتراجم علماء النحو واللغة:

(طبقات النحاة واللغويين)، لابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ). وقد بدأه المؤلف بأسماء المحمدين، تكريماً للنبي ﷺ، ثم رتب بقية الأعلام حسب حروف المعجم، فبدأ بحرف الألف، فحرف الباء، وكان حرف الباء آخر الحروف عنده.

وأخر هذه المعاجم: (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة)، للسيوطي (ت ٩١١هـ). ويحوى هذا الكتاب تراجم لكل اللغويين والنحاة الذين كانوا في عصور سابقة على عصر المؤلف، ممن جاء ذكرهم في كتب النحو واللغة والأدب والتاريخ والتراجم ومعاجم الشيوخ، بالإضافة إلى مشاهداته وأخبار شيوخه وعلماء عصره. وقد عاد السيوطي إلى كثير من المصادر، وطالع - كما يقول - ما بينف على ثلثمائة مجلد. ودفعه إلى تأليف هذا الكتاب تشوقه - منذ نشأته - إلى كتاب يجمع أخبار النحويين، ويعود ذلك إلى عناية السيوطي بهذا الفن، فهو أول فنونه، والنوع الذي عني به قيل أن تجتمع شؤونه، كما يذكر في مقدمة كتابه.

رتب المؤلف كتابه ترتيباً هجائياً على حروف المعجم، وبدأ بمن اسمهم (محمد)، ثم بمن اسمهم (أحمد)، ثم حرف الهمزة، ثم الباء، إلى حرف الباء. ويحىء في آخر الكتاب (باب الكنى والألقاب والنسب والإضافات) مرتباً على

الحروف، ثم (باب المتفق والمفترق)، ويعنى به اتفاق الأسماء واختلاف المسميات، مثل: (أبى حسيان)، فهناك أبو حسيان التوحيدى، وأبو حسيان الأندلسى. ثم (باب المؤلف والمختلف)، وهو المتفق خطأً المختلف لفظاً، مثل: الفالى والقالى، يليه (فصل فيمن اسمه وبه)، و(فصل فى الآباء والأبناء والأحفاد والأخوة والأقارب)، وآخر كتابه (باب فى أحاديث متفاعة من الطبقات الكبرى).

ولم يقتصر السيوطى فى إيراد الأعلام على بلد دون آخر، أو عصر دون غيره، بل كانت رؤيته شاملة، ونظرتة عامة. وحرّص فى كل ترجمة على ذكر تاريخ الميلاد والوفاة، إضافة إلى الشيوخ والمؤلفات، ولهذا كله يعد كتاب (بغية الوعاة) أفضل مؤلف فى هذا الفن.

(ج) معاجم تراجم الفئات الخاصة:

ونعنى بها تلك التراجم التى عُتبت بإيراد تراجم للرجال أصحاب الظروف الخاصة، الذين حرّموا من بعض نعم الحياة. وتتسم هذه النوعية من المعجمات بالتميز؛ لأنها تجمع أفراداً عديدين، يتسهبون إلى وظائف ومهن متعضدة، وعُرفوا بالاشتغال بفنون وعلوم مختلفة، وعاشوا فى عصور متباينة، إلا أنهم يشتركون جميعاً فى الانصاف بصفة معينة.

وتنقسم هذه المعاجم قسمين:

أولهما: ما يمكن أن نطلق عليه (معجم الفقراء)، ويمثله كتاب (الفلاكة والمفلوكون)^(١)، لشهاب الدين الدلجى (ت ٨٣٨هـ). وقد أراد المؤلف من هذا الكتاب أن يكون 'بديع المثال، منسوجاً على غير منوال، مخترعاً من غير سابقة مثال'^(٢). ويشغل (معجم الفقراء) ما يقرب من نصف الكتاب الذى رتبّه صاحبه

(١) الفلاكة: الفقر. والمفلوكون: الفقراء، مفرداً: مفلوك، ويجمع أيضاً على: مفلابك.

(٢) الفلاكة والمفلوكون. ص ٤.

على ثلاثة عشر فصلاً، بدأه بالفضل الأول في (معنى المفلوك)، ثم الفصل الثاني: (في خلق الأعمال وبيان أن لا حجة للمفلوك في التعلق بالقضاء والقدر). ويגיע (المعجم) في الفصل العاشر: (في تراجم العلماء الذين تقلصت عنهم دنياهم ولم يحظوا منها بباطل)، وكذا في الفصل الحادي عشر: وهو (في مباحث تتعلق بالفصل قبله، ومن المباحث النكبات الحاصلة للأعيان).

ولا يلتزم الدلجى بترتيب معين في إيراد هؤلاء المفلوكين، ففي الفصل العاشر: يגיע (ابن مالك) قبل (الأخفش الصغير)، ويأتي (الخليل بن أحمد) قبل (الحريري). وكان المؤلف حريصاً في كل ترجمة على ذكر الاسم كاملاً، والصفة أو الوظيفة التي عُرف بها، وبيان سنة الوفاة في النهاية، وقد يستشهد بالشعر في ثنايا الكلام عن المفلوك، الذي قد يكون هذا الشعر من نظمة هو، أو مما قاله غيره فيه. وسار الدلجى في الفصل التالي (الحادي عشر) على النهج ذاته، فلم يتبع طريقة معينة في الترتيب؛ إذ يورد (مالك بن أنس) قبل (البخاري)، و(النسائي) قبل (ابن الدهان). ويعد معجم المفلوكين، الذي يحوي مائة وأربعاً وثلاثين ترجمة، معجماً فريداً في بابه، متميزاً في مجاله.

أما ثاني قسمي معاجم التراجم الخاصة فيمكن أن نسميه: (معجم العُميان)، ويتمثل في كتاب (نُكَّتِ الهُمَيان في نُكَّتِ العُمَيان)^(١)، للصفدي (ت ٧٦٤هـ). وقد بين المؤلف في مقدمة كتابه - أنه رأى ابن قتيبة قد ساق في آخر كتاب (المعارف) فصلاً في المكافيف، منهم: أبو قحافة (والد أبي بكر الصديق)، وكعب بن مالك الأنصاري، وحسان بن ثابت، وغيرهم، ثم رأى أبا الفرج عبد الرحمن بن الجوزي قد ساق في آخر كتابه (تلقيح فهوم أهل الأثر) في تسمية العُميان الأشراف، منهم: عبد المطلب بن هاشم، وعبد الله بن عمر، وعمرو بن كلثوم، وغيرهم. ولم يضع كل من ابن قتيبة وابن الجوزي مصنفيهما لاستيعاب ذكر العُميان، وإنما ذكرا أشراف من

(١) الهُمَيان: شداد السراويل، ونُكَّتُهُ: رميُّه وإلقاؤه على الأرض.

كان أعمى، وفعل ذلك غيرهما. ويذكر الصفدي أن بعضهم قد حثَّ على أن يضع للعميان تصنيفًا يخصهم فيه بالذكر.

كسَّر المؤلف كتابه على (خطبة الكتاب)، وعشر مقدمات، ومعجم. وبين في الخطبة الداعي إلى تأليف الكتاب، وعالج في المقدمات العديد من الموضوعات، مثل: (التفاضل بين السمع والبصر)، و(فوائد تتعلق بالأعمى والعمى)، و(حكم بيع الأعمى وشرائه)، و (هل يعتبر اجتماعه بالزوجة خلوة)، ثم (خاتمة لهذه المقدمات: في ذكاء العميان وطُرف أخبار تدل على ذكائهم). أما المعجم، وهو الغاية من هذا الكتاب، كما يقول مؤلفه، فقد ذكر فيه كل من وقع له ذكُره وهو أعمى، سواء أولد أعمى أم طرا عليه العمى بمرض أو غيره، فيسردهم على حروف المعجم ليسهل كشفه^(١). ورتب الصفدي معجمه على الحروف الهجائية، فأول الحروف عنده (حرف الهمزة)، يليه (حرف الباء)، وآخر الحروف (حرف الياء).



(١) انظر: نكت الهميان في نكت العميان. ص ٨٧.

التاسع

حفلت فترة الدراسة - وهي القرنان الثامن والتاسع الهجريان - بعدد من المعجمات اللغوية العامة ذات الأثر الكبير والمكانة المهمة في المكتبة المعجمية العربية، مثل: (لسان العرب)، لابن منظور، و (القاموس المحيط)، للفيروزآبادي. ويضاف إلى هذا بعض المختصرات وكتب التصحيح والنقد المعجمي، مثل: (مختار الصحاح)، للرازي، و (الراموز على الصحاح)، لمحمد بن السيد حسن، وكذلك (نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم)، و(حلى النواهد على ما في الصحاح من الشواهد)، وكلاهما للصفدي.

وثمة أنماط فريدة من المعجمات اللغوية الخاصة، عُنِي بعضها بالمثلثات، وظهر ذلك في كتابين، هما: (المثلث ذو المعنى الواحد)، للبعلی الحنبلي، و(اللُّرُّ المُبْتَثَّة في الغرر المثلثة)، للفيروزآبادي. وكان البعض الآخر مما يجيء من الكلمات بالسين والشين، ممثلاً في (تجبير الموشين في التعبير بالسين والشين)، للفيروزآبادي أيضاً. وهناك نوعية ثالثة، وهي كتب التصحيح اللغوي، وتتبدى في (تصحيح التصحيف وتحريير التحريف)، للصفدي، و(التذليل والتكميل لما استعمل من اللفظ الدخيل)، للبشيشي. وأخيراً هناك معاجم المصطلحات التي تتمثل - في هذه الفترة - في (التعريفات)، للجرجاني، و(معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم)، المنسوب للسيوطي.

ويشهد القرنان الثامن والتاسع الهجريان عدة مؤلفات في إطار (معاجم غريب القرآن والحديث)، أسهم فيها الفيروزآبادي بمؤلف واحد، وكذا السيوطي، بالإضافة إلى المعاجم التي تُعنى بالمعرب في القرآن الكريم.

والراصد لحركة التأليف المعجمي في هذه الفترة يلحظ وجود معاجم مرتبة على

الأسماء والألقاب والأنساب، منها: (الوافي بالوفيات)، للصفدي، و(المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي)، لابن تغري بردي، و(موسمنا يتصل بالألقاب: نزهة الألباب في الألقاب)، لابن حجر، و(لب اللباب في تحرير الأنساب)، للسيوطي.

ورتب بعض المصنفين معاجم للأعلام على القرون والأقاليم، مثل: (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة)، و(الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصغيد)، للأدقوني.

ويضاف إلى هذه المعجمات كثير من المصنفات التي عُتبت بتراجم الفقهاء والقراء والمفسرين والحفاظ، وكذا التي اهتمت بتراجم النحاة واللغويين، وتلك التي كان موضوعها أصحاب الحالات الخاصة، مثل: الفقراء والعُميان.

وثمة أمر جدير بالانتباه، وهو أن هناك مؤلفين ومصنفين أسهم كل منهم بعدة مؤلفات في إطار العمل المعجمي، ويبدو ذلك فيما يلي:

١- الذهبي، (ت ٧٤٨هـ): له: (المشتبه في الأسماء والأنساب والكنى والألقاب). و(سير أعلام النبلاء). و(معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار).

٢- الصفدي، (ت ٧٦٤هـ): له: (تصحیح التصحيف وتحرير التحريف). و(الوافي بالوفيات). و(نكت الهميان في نكت العميان). و(نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم). و(حلى النواهد على ما في الصحاح من الشواهد).

٣- الفيروزآبادي، (ت ٨١٧هـ): له: (القاموس المحيط). و(الدرر المبثثة في الغرر المبثثة). و(تجسير الموشين في التعبير بالسين والشين). و(بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز).

٤- ابن قاضي شهبه، (ت ٨٥١هـ)، له: (طبقات فقهاء الشافعية). و(طبقات

النحاة واللغويين).

٥- ابن حجر العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ)، له: (نزوة الألباب فى الألقاب).
 و (تبصير المنتبه بتحرير المشتبه). و (الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة). و (ذيل
 الدرر الكامنة فى أعيان المائة التاسعة). و (الإصابة فى تمييز الصحابة). و (إنباء الغمر
 بأبناء العمر).

٦- ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ)، له: (المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى)،
 و (الدليل الشافى على المنهل الصافى)، و (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة)،
 و (مورد اللطافة فى ذكر من ولى السلطنة والخلافة).

٧- السيوطى، (ت ٩١١هـ)، له: (لب اللباب فى تحرير الأنساب)، و (التذيل
 والتذويب على نهاية الغريب)، و (المهذب فيما وقع فى القرآن من المعترب)،
 و (المتوكلى)، و (طبقات المفسرين)، و (بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة).
 و (طبقات الحفاظ).



oboi.kendal.com

المصادر

(الكتب التي تناولها البحث بالدراسة والتحليل):

١- الأدفوى: (أبو الفضل كمال الدين جعفر بن نعلب الأدفوى: الشافعي)، (ت ٧٤٨هـ).

- الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد.

الدار المصرية للتأليف والترجمة، (١٩٦٦م).

٢- البشيشي: (عبد الله بن محمد العذري). (ت ٨٢٠هـ).

- التذيل والتكميل لما استعمل من اللفظ الدخيل.

تحقيق: سعد محمد حسن. مراجعة: د. طه الحاجري.

مخطوط بدار الكتب، تحت رقم (٢٣١) - علم اللغة.

٣- ابن التركماني: (علاء الدين علي بن عثمان بن إبراهيم المارديني)، (ت ٧٥٠هـ).

- بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب.

تحقيق: خالد محمد خميس (ج١)، ورمضان عبد المطلب (ج٢)، إشراف

ومراجعة: د. أحمد عبد المجيد هريدي.

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).

٤- ابن تغري بردي: (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي).

(ت ٨٧٤هـ).

- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي.

تحقيق: محمد نجاتي.

دار الكتب المصرية، (١٣٧٥هـ).

- الدليل الشافي على المنهل الصافي.

تحقيق وتقديم: فهم محمد شلتوت.

مكتبة الخانجي بالقاهرة، (١٩٨٣م).

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.

وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، (١٩٦٣م).

٥- ابن حجر العسقلاني: (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد)،

(ت ٨٥٢هـ).

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.

ضبطه وصححه: الشيخ عبد الوارث محمد علي.

دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

-- ذيل الدرر الكامنة في أعيان المائة التاسعة.

تحقيق وتعليق: الشيخ أحمد فريد المزيدي.

دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

= نزهة الألباب في الألقاب.

تقديم وتحقيق وتعليق: د. محمد زينهم محمد عزب.

دار الجيل، بيروت - لبنان، ط ١، (١٤١١هـ - ١٩٩١م).

٦- حسن: (محمد بن السيد حسن)، (ت ٦٦٨هـ).

- الرموز على الصحاح.

مكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة.

٧- الحلبي: (الشيخ أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي)، (ت ٧٥٦هـ).

- عُمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ.

تحقيق: د. محمد التونجي.

عالم الكتب، بيروت، ط ١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

٨- الحنبلي: (محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل بن بركات البعلبي الحنبلي). (ت ٧٠٩هـ).

- المثلث ذو المعنى الواحد.

تحقيق ودراسة: د. عبد الكريم عوفى.

مخطوطات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط ١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

٩- أبو حيان: (أبو حيان الأندلسي)، (ت ٧٤٥هـ).

- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب.

تحقيق: سمير طه المجذوب.

المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

١٠- ابن الخطيب: (أبو العباس أحمد بن حسن بن علي، ويعرف أيضاً بابن القنفذ). (ت ٨٠٩هـ).

- الوفيات.

تحقيق وتعليق: عادل نويهض.

دار الآفاق الجديدة، بيروت - لبنان، ط ٤، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

١١- الدلّجى: (شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الله الدلّجى). (ت ٨٣٨هـ).

- الفلاكة والمفلوكون.

دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).

١٢- الرازى: (محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى).

- مختار الصحاح.

عنى بترتيبه: محمود خاطر. مراجعة: لجنة من مركز تحقيق التراث بدار الكتب

المصرية. (١٩٧٦م).

١٣- السخاوى: (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى). (ت ٩٠٢هـ).

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.

منشورات مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، (د.ت).

١٤- السّلامى: (تقى الدين أبى العالى محمد بن رافع السّلامى). (ت ٧٧٤هـ).

- الوفيات.

تحقيق وتعليق: صالح مهدي عباس، إشراف ومراجعة: د. بشار عواد معروف.

مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).

١٥- السيوطى: (جلال الدين عبد الرحمن السيوطى)، (ت ٩١١هـ).

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

دار الفكر، ط٢، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

- (التذيل والتذنب على نهاية الغريب).

تحقيق: د. عبد الله الجبوري.

منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، ط ١، (١٤٢٠هـ - ١٩٨٢م).

- المزهر.

تحقيق: محمد أحمد جاد المرلي، وعلى محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم.

دار التراث، ط ٣، (د.ت).

- المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب.

تقديم وتحقيق: د. التهامي الراجي الهاشمي.

اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المملكة المغربية ودولة الإمارات، (د.ت).

- المتوكلي وويليه (رسالة في أصول الكلمات).

دار زاهد القدسي، (د.ت).

- لب اللباب في تحرير الأنساب.

دار صادر، بيروت - لبنان، (د.ت).

- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم.

تحقيق: د. محمد إبراهيم عبادة.

مكتبة الآداب، ط ١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).

١٦- الصفدي: (صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي)، (ت ٧٦٤هـ).

- تصحيح التصحيف وتحريف التحريف.

حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: السيد الشرقاوي.

مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١،

(١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

- نكت الهميان في نكت العميان.

وقف على طبعه: أحمد زكي بك، وعنى بطبعه ونشره: أسعد طرابزونى

الحسينى.

المطبعة الجمالية بالقاهرة، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤).

- الوافى بالوفيات.

منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، (١٩٣١م).

- حلى النواهد على ما فى الصحاح من الشواهد.

- نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم.

١٧- ابن عنبه: (جمال الدين أحمد بن على الحسنى). (ت ٨٢٨هـ).

- عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب.

مكتبة المعارف، الطائف، (١٤٠٠هـ).

١٨- الفيروزأبادى: (أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادى).

(ت ٨١٧هـ).

- القاموس المحيط.

مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧).

- الدرر المبتة فى الغرر المثلثة.

شرح وتحقيق: الطاهر أحمد الزاوى.

الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط١، (١٩٨٧م).

- تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين.

تحقيق: أحمد عبد الله باجور.

الدار المصرية اللبنانية، ط ١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩).

- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز.

تحقيق محمد على النجار.

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط ٣، (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

- البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة.

تحقيق: محمد المصرى.

مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط ١، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

١٩- الفيومى: (أحمد محمد بن على الفيومى). (ت ٧٧٠هـ).

- المصباح المنير.

مكتبة لبنان، (١٩٨٧م).

٢٠- ابن قاضى شُهبة: (تقى الدين أبى بكر بن أحمد ابن قاضى شُهبة)،

(ت ٨٥١هـ).

- طبقات الفقهاء الشافعية.

تحقيق: د. على محمد عمر.

مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة. (د.ت).

- طبقات النحاة واللغويين.

مخطوط رقم ٢١٤٦، تاريخ تيمور.

- ٢١- الكتبي: (محمد شاكرا الكتبي)، (ت ٧٦٤هـ).
 - فوات الوفيات والذيل عليها.
 تحقيق: د. إحسان عباس.
 دار صادر، بيروت. (د.ت).
 ٢٢- ابن الهائم: (شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصرى)، (ت ٨١٥هـ).
 - التبيان فى تفسير غريب القرآن.
 دراسة وتحقيق وتعليق: د. فتحى أنور الداىولى.
 دار الصحابة للتراث بطنطا، ط ١، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
 ٢٣- اليمانى: (عبد الباقي عبد المجيد اليمانى). (ت ٧٤٣هـ).
 - إشارة التعمين فى تراجم النحاة واللغويين.
 تحقيق: د. عبد المجيد دياب.
 مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط ١، (٦٠٦هـ - ١٩٨٦م).

